من وراء الزجاج

ياسمين أباظة

من وراء الزجاج / قصص

ياسمين أباظة

الطبعة الأولى ، ٢٠١٠

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

تدقيق لغوي :

سارة سرحان

رقم الإيداع : ٢٠١٠/١٤٨٣٩

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ٠٥٤- ٤

من وراء الزجاج

ياسمين أباظة

قصص

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع

مقدمة

لا أعتقد أن هذه الدنيا بأسرها تسع فرحتي وأنا أكتب اليوم مقدمة لأول كتاب لحفيدتي ياسمين تعبر فيه عن أفكارها وتعلن فيه عن آرائها وعن مشاعرها التي تحتفظ بها في حصن بداخلها حصين.

تمنيت عندما ولدت ياسمين دسوقي ثروت أباظة - وهي أول حفيدة لي، أن أعيش حتى أراها شابة حاصلة على شهادة عليا، ولما استجاب الله لدعائي، شجعني ذلك على أن أطلب أن أعيش حتى أراها عروسًا، وللمرة الثانية استجاب الله ورأيتها عروسًا جميلة تلمع عيناها من السعادة، ويشرق وجهها من الفرح، ولكن دائمًا متزنة يحوطها الوقار.

ياسمين أخذت أحلى صفات والديها.. أخذت منهما القيم الرفيعة والتدين المتفتح، وأخذت من أجدادها الكبرياء ولكن في تواضع، والعواطف الجميلة ولكن في خجل واتزان، ثم أخذت حب القراءة وملكة الكتابة.. بأسلوب سهل ورشيق.. وقد وهبها الله دقة الوصف وقوة الملاحظة، تنظر بتعمق في أغوار النفس ثم تحلل المحبين كل على حسب شخصيته.

عندما قرأت كتابها هذا، أدركت أن الله قد أعطاها قدرة على امتلاك كل هذه العواطف الجياشة، السامية، الرفيعة، دون أن تظهر شيئًا منها، فأنت تراها إنسانًا هادئًا، رزينًا، متزنًا، فلا يمكنك أن تستشف كل هذا الجمال الذى بداخلها، ولا كل هذه المشاعر

الملتهبة في أعماقها، فهي تخفي هذا الكنز في أعمـــاق أعماقهـــا، ولا تسعى لأن تسمع كلمة إطراء لوجود كل هذا السمو والجمال داخل قلبها الصغير.

هذه ياسمين كاتبة هذا الكتاب، كانت منذ طفولتها تلفت الأنظار بذكائها الحاد وبسرعة بديهتها، وهي اليوم تلفت الأنظـــار بنظرتهـــا الجادة للحياة وبتأملها في أعماق الإنسان.

عفاف عزيز أباظة

عزف منفرد !

"المنطوي" كان اسمه الأشهر في سن الطفولة..

"البرّاوي" كان لقبه وسط عائلته الصغيرة..

"غريب الأطوار" كان اسمه الحركي بين زملاء وزميلات العمل..

فقد كان علي زين الدين يمثل التسلية المفضلة لأكثر من ثلاثين موظف هم أعضاء فريق التسويق بشركة الاتصالات الشهيرة..

فكان الحديث عنه في ساعة الراحة، ومداعبته بأسلوب تهكّمي أحيانًا وهمجي غالبًا هي أكثر شيء اتفقوا عليه برغم اختلاف طبائعهم.

فقد كانت هيئته أقرب لرجل في أواخر الأربعينات، و لشعره الرمادي برغم أعوام عمره السبعة والعشرين، "طلة" أقرب لرجل ذاهب إلى حفل تنكري من موظف تقليدي يؤدي عمله التقليدي أيضًا.. فملابسه التي خرجت لتوّها من كتالوج

"خمسيني النزعة" - كما تحب علياء زميلته في المكتب أن تطلق عليها، بالإضافة لوجهه الأصفر المتجهِّم دائما والذي يعرف الحمرة أحيانًا عندما يحاول زملاؤه مداعبته، أو بمعنى أدق التهكُّم على هيئته، كل هذا كان أكثر من كافٍ ليصبح بطلًا لأغلب الروايات، وأحيانًا الأساطير التي تنسجها الزميلات النمَّامات والزملاء من هواة نقل الأخبار التي ترفِّه عنهم وتهوِّن ساعات العمل التسع المملة.

ساعدهم على ذلك طبيعته الغامضة وقلة - بل ندرة - حديثه مع الآخرين.

فهو تارة "بِسْوَنْجي" قدير.. يستغل شعره الرمادي ومظهره الوقور في الإيقاع بالمراهقات من بنات المدارس المجاورة لمنزله والذي يسكن فيه وحده لأسباب لا يعرفها أحد.

وهو تارة جاسوس لرئيس مجلس الإدارة.. دسَّه وسطهم ليكتب التقارير السرية عن أداء الموظفين، وعن أحدث الأخبار التي يتناولونها في أحاديثهم الجانبية بخصوص العمل والمرتبات وغيرها من أحاديث الموظفين الروتينية..

وإلا فما أهمية ذلك الظرف الأصفر الصغير الذي يحرص على إخراجه بعناية فائقة صباح كل يوم جديد ثم يعيده مرة

أخرى إلى جيب البنطلون الأيمن بعد دقائق معــدودة دون أن يعرف أحد ماذا أخذ منه أو ماذا وضع فيه!

وهو تارة أخرى إبن لأحد أثرياء الصعيد.. تعلّــم خــارج مصر.. ثم ترك بلده الأصلي عندما اكتشف أنه فقد كل ســبل التواصل مع "كائنات" هي أقرب للكائنات الفضائية من كونها نماذج لبني آدمين يمكنه التعايش معهم!

وغيرها الكثير والكثير من الحكايا التي يعرفها كلها عن ظهر قلب، ولكنه أبدًا لم يؤكد أي منها.. و لم ينفها أيضًا!

أما هو.. فلم يهتم أبدًا بالحديث مع أي منهم.. ربما كانت علياء هي الأقرب لقلبه.. فهي كانت تتهكم عليــه مثلــهم.. ولكنها على الأقل لم تكن تمتلك وجهين؛ فما كانــت تقولــه معهم كانت تقوله له أيضًا.. كثيرًا ما نــصحته بــالتودد إلى زملائه.. وكثيرًا ما عرضت عليه النزول معه لــشراء ملابــس جديدة.. ولكنه كان دائمًا ما يجد العذر تلو الآخــر ليتــهرب منها.. حتى فقدت هي أيضًا الأمل وأصبحت تتجنب الحديث معه.

عندما يختلي بنفسه يفكر أنه حينما يقرر الزواج ســتكون علياء هي أقرب المرشحات.. ثم يترك كرامته الرجولية جانبًــا ليعلنها صراحة.. إن علياء ستكون المرشحة الوحيدة.. فهــو لم

يعرف امرأة غيرها في حياته.. ففي سنوات الدراسة كان معجبًا بزميلة له.. وحينما قرر أخيرًا التغلب على خجله ومصارحتها بما يكنه لها من مشاعر.. ثم قرر أن يعطيها الرسائل والأشعار التي كتبها خصيصًا لها منذ سنة ونصف.. بل أكثر.. توجَّه إليها بخطوات متثاقلة وطلب الحديث معها على انفراد وسط دهشة الجميع.. وأخبرها بأنه يراها بشكل مختلف تمامًا عن أي رجل تعرف.. وأنه الوحيد القادر على إسعادها في هذه الدنيا.. حدثها بصدق عن أحلامه بها.. وببيت صغيربنوافذ زرقاء سيجمعه بها.. وعن "ريم" و"سيف" أبنائه منها...

فأجابته بنظرة فارغة من أي معنى وسؤال ساخر: متى شفيت؟ وعندما لمحت الدهشة في عينيه أخبرته ضاحكة بأنها كانت تعتقد أنه أبكم!

ومنذ تلك التجربة فقد اتصاله نهائيًّا بالجنس اللطيف.. حتى جاءت علياء واقتحمت عزلته بابتساماتها الهادئة.. وعينيها التي ترتسم فيها الفصول الاربعة.. فهي أحيانًا باردة كشتاء ديسمبر.. وأحيانًا أخرى مغرية كفصل الربيع.. أما حينما تسخر منه فهي تكون رمادية كخريف سبتمبر.. وعندما ترسم تلك النظرة الأنثوية تكون في حرارة أغسطس...

نعم.. فهو يحبها.. لكنه أبدًا لن يقبل أن تتهمه امرأة أخرى بالخرس.. حتى وإن كانت علياء!

كانوا دائمًا ما يتساءلون عن ترتيب يومه.. فهو مثل ساعة بيج بن في دقة مواعيده.. ففي تمام الثامنة يترك مفتاح سيارته الـ١٢٨ لعم عبده السائس.. ثم يدخل من باب الشركة دون أن يوجِّه "صباح الخير" واحدة إلى مسئولة الاستقبال في الشركة، والتي كانت تنظر إليه شذرًا في بداية التحاقه بالشركة، ثم ارتاحت لتفسير أنه "أكيد مجنون"؛ فهو الرجل الوحيد بالشركة الذي لا يلتفت إلى ساقيها التي تحرص كل الحرص على إظهارهما يوميًّا من تنورتها القصيرة.

في الثامنة وخمس دقائق يتوجه إلى الحمام ليربط رابطة العنق التي لا يعرف أحد لماذا لا يربطها.. قبل نزوله في تمام الثامنة والنصف يطلب كوب الشاى بحليب من الفرَّاش.. ثم ينكب على عمله دون انقطاع ودون حتى أن يرفع نظره عن أوراقه.

في الخامسة إلا دقيقة يغلق جهاز الكمبيوتر متوجِّهًا إلى الباب الجانبي للشركة، وتفسير ذلك في - رأي الزملاء طبعًا - أنه يريد تجنب الآخرين حتى لا يضطر للسلام عليهم يوميًّا.

فهو في مواعيده تلك لا يقبل التهريج.. فالجميع يتذكرون شجاره الشهير مع رئيس مجلس الإدارة حينما طلب منه الأخير

أن يتأخر في أحد الأيام لإعداد تقرير خطير عن الشركة.. مما اضطر رئيس مجلس الإدارة إلى إهانته أمام الزملاء مذكّرًا إياه بأن تمسكه بميعاد الخروج لا يليق برجل ليس لديه ما يعود من أجله!

كثيرًا ما طلبوا منه الخروج معهم بعد ساعات العمل الرسمية لكنه كان يرفض باستماتة حتى توقفوا عن دعوته وتفرغوا لتأليف القصص عنه وتوقع تصرفاته.

فهو حينما يمسك بالقلم ليكتب.. فهو يكتب لإحدى نسائه خطابًا يتذلل فيه حتى تعود إليه مرة أخرى.. وعندما يأتي متعبًا في الصباح.. فهو عائد من سهرة حمراء مع إحدى المراهقات اللاتي يعرفهن.. حتى تمادى أحدهم في خيالاته وأقنع زملاءه أن ذلك الخطاب الذي يحتفظ به في جيبه إنما هو اعتراف بخط اليد عن كونه القاتل الحقيقي لسوزان تميم.. اعتراف ينتظر صحوة ضمير حتى يتقدم به للنيابة العامة.. فهو في نظرهم الأبكم المختل عقليًّا.. وهم يتوقعون منه أي شيء.. حتى القتل!

تعجَّب الجميع عندما وجدوه لأول مرة يطلب من مديره الانصراف مبكرًا لأنه يشعر بوعكة صحية.. فوافق المدير على مضض؛ فهذا هو طلبه الأول من نوعه ومن غير العدل أن يرفض له.

في تمام الساعة الثانية والنصف من ذلك اليوم الخريفي البارد اتجه بسيارته إلى وسط البلد.. وضع على المفتاح في مقبض باب الشقة العتيقة الكائنة بشارع عبد الخالق ثـــروت.. وأصـــغى السمع إلى صوت الباب الصدئ الذي رفض ترميمه لأسباب لا يعلمها سوى الله.. ثم خلع جاكتة البدلة ووضـــع المفتـــاح في الجيب الداخلي بعناية وأحضر ورقة وقلمًا ثم توجَّه إلى الشرفة الصغيرة مطلِقًا زفرة طويلة.. ثم بدأ في الكتابة:

٩ سبتمبر ٢٠٠٩

الخطاب رقم (١٨٢٥)

إليكِ يا حبيبة العمر..

أولًا وحشتيني..

ثانيًا اليوم تمر خمس سنوات على يومنا الموعـــود.. وكمـــا عوَّدتك دائمًا.. ففي احتفال الذكرى السنوية يجب أن يكـــون خطابي لك مختلفًا.. فقررت أن أطمئنك على سير يومي.. وأن أحكي لك بالتفصيل الممل عن أحداثه الأكثر مللًا ..

فأنا استيقظت كالعادة في تمام السابعة.. ثم أعددت كـــوب الشاي باللبن.. لكنه لم يشبه الـــشاي الـــذي تعدينـــه لي.. ثم صبَّحت على عم سليمان البواب برغم مقتي له.. لكني تذكرت نصيحتك الدائمة بأن "الكلمة الحلوة بتخفف".. فقـــررت أن

أصبح "اشتراكيًّا" مثلك لليوم فقط.. فابتسمت له ملقيًا عليه السلام.. وتمنيت لو كنتِ معي فقط لتري نظرة الذهول التي كانت على وجهه، والتي حتما ستفوق دهشته لو عرف أني أعلم جيدًا أنه يقسم ربح سرقة أموالي مع شركائه من بائعي الخضر والفاكهة والبقالة أيضًا!

ثم توجهت إلى عملي في تمام الثامنة.. ولم يَفُتْني تشغيل أسطوانة عبد الوهاب التي تحبينها كثيرًا.. فالدنيا ليست بغرامى أبدًا.. ولكني استمعت إليها فقط من أجلك.

ولا تقلقي.. فأنا ابتسمت أيضًا للسائس - على غير العادة، ثم أعطيته خمسة جنيهات (مرة واحدة)؛ فقط لأن اليوم هو يومنا.. وقبل أن تسأليني.. نعم.. رأيت علياء.. ولا.. لم أفاتحها في أي مواضيع.. فأنا كما تعرفين مشغول بنا دائمًا لدرجة تمنعني من أن أجلب لك ضرة بعد كل تلك السنوات التي قضيناها معًا.. ولا.. أنا لست حزينًا لأنني لا أجد من يطهو لي.. والوحدة لا تشعرني بالضجر.. فأنا على يقين أن المسافة التي تفصل بيننا لا تعطيني السبب أبدًا لأن أخونك مع امرأة أخرى.. حتى وإن كانت في رقة علياء.

أنهيتُ عملي مبكرًا؛ فلأول مرة أشعر بهذا الصداع الذي يفتك برأسي.. ولكن لا تقلقي.. لا شيء سيفسد علينا يومنا الخاص.

قبل أن أعود توجهت لمحل الورد لأبتاع زهـــرة واحـــدة.. ستشمين عطرها في خطابي هذا.. ولكن لا تغضبي مني؛ لأنـــني لم أجد الـــ"لي لي".. فأنا لم أنسَ أنها زهرتك المفضلة.. ولكن البائع أخبرني بأن الخريف ليس موسمها.. أخبرته في سري بأنك لو تعرف كم تحبها حبيبتي لجعلت جميع فصول العام مواسمًـــا لها.. ثم توجهت لمحل الفيديو الـــصغير في الـــشارع المجـــاور للمترل.. وبعد فاصل طويل من الترحيب بي؛ فأنا وبلا فخر - كما قلت لكِ في خطاباتي السابقة - الزبون الوحيد لهذا المحل.. فلا يوجد مجنون آخر متأخر تكنولوجيًّا يترك الـــ(دي في دي) ليؤجر شريط فيديو ليشغله على هذا الجهاز العتيق الذي أصبح يشبه الفونوغراف من حيث القدم والعراقة! هل تعلمين أنني لم أحتَرْ نهائيًّا في اختيار الفيلم الذي سنشاهده معًا؟.. فقد اخترت فيلم "UP"؛ لأني وجدته يشبه قصتنا إلى حد كبير، فهو يحكي عن الحنين إلى الماضي، وعن ملاحقة الأحلام؛ حتى الـــصعب منها مثل حلمي بكِ الآن.. فهو بالطبع لا يحكي عن حلمـــي هذا، ولكن قصة الرجل العجوز بالفيلم تشبهه كـــثيرًا.. لا.. أرجوكِ لا تطلبي مني أن أشاهد ذلك الفيلم العربي السخيف.. فأنا لا اشبه هذا البطل المريض نفسيًّا.. فأنا أتقبل تمامًا المـــسافة التي تفصل بيننا.. لكني فقط أريـــد أن أشـــركك في جميـــع تفاصيلي.. تخيلي.. نسيت أن أقول لكِ أن نغمات التانجو تملأ

المنزل.. فأنت لست هنا لنرقص معًا.. ولكني عاهدت نفسي على عزف لحن منفرد حتى تأتي.. تخيلي أن يومي انتهى عند هذا الحد.. ألم أقل لك إنه يوم ممل جدًّا؟!

سأتركك الآن لآخذ حمامًا دافئًا.. ثم أشغّل التكييف البارد.. وأمارس طقوسي المعتادة التي لا أعرف إن كنتِ تعرفينها أم لا.. مع أني واثق أنك لن ترضي عنها.

ثم سأعد كوبًا من القرفة الساخنة.. يا الله!! لقد نسيتِ أن تخبريني كم ملعقة سكر كنتِ تضعين في الفنجان الواحد.. لا يهم.. سأنتظرك حتى تأتي.

سأفتقدك حتى خطابي القادم.. ولا تنسي أن تكتبي لي كلما استطعتِ..

ملحوظة: لا زلت لا أعرف كيف أربط الكرافاتة كما كنت تفعلين!

أنهى خطابه ثم توجَّه إلى المطبخ ليضع القليل من الماء على الموقد ليسخن.. ثم أغمض عينيه.. وشعر بيديها تخبِّئ نصف وجهه كما اعتادت دائمًا.. فابتسم قائلًا لها في عتاب إنها تأخرت كثيرًا.. ثم أدار وجهه نحوها وطبع قبلة طويلة على رأسها، ثم قبل وجنتيها في شوق واضح، وأمسك بخصرها

مؤكدًا لها أنه افتقدها كثيرًا.. ثم طلب منها أن تربت على كتفه.. فهو لا يشعر بالأمان إلا حينما يضع رأسه على صدرها فتخبره هي بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

ضحكت عاليًا مذكرة إياه بأنه "كبر على الكلام دا".. فأجابها في لوم واضح بأنه "ما صدق إنها جت".. ثم وضع رأسه على قدميها واستغرق في سبات عميق...

كانت علياء هي أول من حضر إلى منزله عندما غاب عن عمله ليومين كاملين دون إنذار.. أخبرها الطبيب بأنه يعاني من نزلة شعبية حادة وارتفاع شديد في الحرارة.. وفيما عدا ذلك فلا شيء يدعو للقلق.. ابتسمت في رضا لأنها أنقذت حياته.. ثم نظرت إلى علي في إشفاق بالغ محاولة أن تترجم ما يقول.. ولكنها فشلت.. ثم نظرت في فضول إلى ذلك الظرف المتدلي من جيب البنطلون المعلق بعناية على مقبض النافذة.. ترددت لدقائق.. ثم فتحته لتنظر إلى صورة لامرأة في العشرينات تحمل صبيًا صغيرًا يشبه إلى حد كبير هذا الرجل الراقد أمامها في إعياء واضح.. ثم نظرت في توتر إلى تمثال خشبي يرقد بجواره لامرأة خمسينية تشبه علي إلى حد كبير.. ثم بدأت في تفسير كلماته.. فقد كان يردد شيئًا يشبه: "وحشتيني يا أمي"...

إلى ابنتي حتى نلتقي



حبيبتي..

مر أسبوعان الآن.. وكأن ما حدث قد حدث بـــالأمس.. فآلامي لا تزال في نفس قوتها ولا زلت أعتقد أنـــك بالغرفـــة المجاورة تنتظرين أن يحملوك إليَّ..

حسنًا.. أنت تعرفين.. فلساني لا يقوى علـــى قولهـــا.. لا أعرف تحديدًا كيف حدث أو لماذا حدث..

فأنا لا أكفر بالله.. ولكني حقًّا لا أفهم.. قد أكون كـــبيرة بالقدر الكافي وناضجة بحكم الثلاثين عامًا الذين مـــروا علـــى وجودي هنا في الدنيا التي لم تُمْهِلك الوقتَ لتعرفيها – لحسن حظك، ولكني أمام الموت كالطفلة التي وضعوا أمامها كتابًـــا لتتعلم القراءة.. فتشابهت عليها الأحرف حتى يئست مـــن أن تفهم لها معنى.. فأنا حقًّا لا أفهم كيـــف تكـــونين الآن بـــين يدي.. تستيقظين على قبلتي.. وتنامين على صوت غنائي شأن كل الصغار.. تلعبين أمامي وتقلدين حركاتي وتتركين كل مـــا

يقال أمامك لتلتقطي فقط ما لا أريدك أن تلتقطيه - شأن كل الأطفال..

تشغلين يومي بالتفكير فيك.. وفي فستان يوم ميلادك.. فيما سأعلمه لك غدًا.. وفي الكتاب الذي سنقرأه قبل النوم.. كيف بعد كل هذا أفاجأ بأنك - فجأة ولسبب غير مفهوم - أصبحت غير موجودة! ربما لم تعرفيني بالقدر الكافي.. فستة أشهر ليسوا بالزمن الذي يسمح لك بمعرفتي.. لكني أعرفك جيدًا.. قبل حتى أن تتكوني داخلي..

فالإنسان لا يحتاج أن يتحقق حلمه الأكبر حتى يعرفه.. والمرأة لا تحتاج لطفل حقيقي حتى تشعر بالأمومة..

حبيبتي.. وحشتيني..

يقول أبيك إن كتابتي إليك ستصيبني بالجنون.. ولكنه لا يعرف أن الجنون سيصيبني حقًا حينما أصدق أنه لا سبيل للتواصل بيننا..

وتقول جدتك إنها بإخفائها لأشيائك من أمامي ستساعدني على النسيان.. ولكنها لا تعلم أنني كلما حاولت نسيانك تذكرتك أكثر.. فمن قال لهم - أصلًا - أنني أريد أن أنسى؟

فأنا أعرف أنك هنا ومعي.. وحسبي أنك تسمعيني وتريني.. حتى وإن لم أكن أراك.. فربما لن يصدقوني.. وربما سيقولون إنني أحاول أن أصبّر نفسي.. لكني كنت على يقين من أنك ضيفة في هذه الدنيا.. ضيفة لن يكتب لها البقاء مدة طويلة..

لعل الله قد جاء بك إليّ حتى أجد من يستقبل مني كل هذه الأحاسيس التي ملأتني منذ سنوات.. والتي لم يكن من الممكن أن يشبعها إلا مجيؤك.. ولكن.. ألم يكن يستطيع أن يتركك معي لشهرين إضافيين فقط؟

أنا لا أتذمر يا حبيبتي فلا تقلقي.. أنا فقط أعبّر عن مدى اشتياقي إليك.. إن كان ذلك ممكنًا.. فأنا أشك أن كلمات اللغة تكفي لوصف ألم أم فقدت جزءًا منها منذ أسبوعين.

وأخيرًا أريدك أن تعرفي أن الفيونكة والفستان في انتظارك.. فهما آخر ما تبقّى منك.. وآخر ما استطعت إنقاذه منهم.. فلا أعرف حقًا لولا تأثير الصدمة ماذا كنت فعلت.. وأنا أراهم ينقلون أشياءك من أمامي.. سأتركك الآن.. فالمهدئ قد بدأ في العمل بداخلي مرة أخرى.. فكما تعلمين.. أصبحت لا أقوى على النوم بدونه.. متمنية من الله أن تزوريني في أحلامي..

يقولون إنه سيأتي الوقت الذي أعرف فيه الحكمة الإلهية من موتك وموتي.. سحقًا لهم.. فالوقت ليس وقت فلسفة.. أنه فقط وقت افتقاد..

يقولون لي إنك الآن في مكان أفضل.. ولكني أنانية بالقدر الذي يجعلني أريدك معي هنا.. والآن...

ويقولون إن ذهابك سيكون سببًا في دخولي الجنة.. ولكن إن خيَّروني بين الجنة وبين أن تعودي إليّ لاخترتك أنت..

فحتى يأذن لنا الله أن نلتقي.. أريدك أن تعرفي أني أحبك كحب من حُرِمَت نعمة الأطفال لكل طفل تراه عيناها..

أحبك كحب كل أمهات العالم لكل أطفال الكون.. فانتظريني!

ويقول إني امرأة



أنا من كانت يومًا طفلة عيناهـا همـا الـبراءة نفـسـها.. فأصبحت عجوزًا في جسد صغيرة ترى في عيون أمهـا فزعًـا ورعبًا..

فهي طفلة.. أي أنثى.. أي جسد مستباح منذ خـرج إلى الدنيا.. فسمعتها تحذرني من الجميع.. فلا أحد فوق مـستوى الشبهات.. أيًا كان..

فانتقل خوفها إلي.. حتى أصبحت أخاف من أبي وعمـي وخالي.. فالكل ينظر إلي على أني عـار.. والجميـع يعتـبرني خطيئة.

أنا من عشت أيامًا كان يفترض أن تكون أكبر همومي فيها مدرسة وفسحة ولعبة طالما رغبت فيها، عشتها وأنـا أتلفـت حولي خوفًا من أن يحدث لي شيء مما حذرتني أمي منه.

فهذا مدرس تحرش بطفلة.. وهذه مدرِّسة هتكت عـرض تلميذتها.. وهذا جار اغتصب جارته الصغيرة الـتي لم تتعـدَّ السادسة..

فكيف أشعر بالأمان وأنا من حرمت منـــه منـــذ تعلمـــت الكلام؟ وما ذنبي في تحوُّل البعض إلى حيوانات لا همَّ لها سوى إشباع رغبات مريضة.. وكائنات تجردت من كل مـــا يمـــت للإنسان بِصِلَةٍ فأصبح وصفها بالحيوان إهانة بالغـــة لكائنـــات حرمت ميزةَ العقل دون إرادة منها.

فعشت سنوات عمري الأولى بـــين عيـــون مفزوعـــة لأم خائفة.. ونظرات مؤلمة لأب يتمنى كل دقيقة لو كنت رجلًـــا حتى لا يحمل بداخله كل هذا الخوف على مـــستقبل باهـــت لكائن لا ذنب له في الحياة إلا أنه لم يولد ذكرًا.

أنا من أصبحت شابة.. أبواب الحيـــاة تحتـــضن أحلامهـــا القادمة.. فاصطدمت بواقع مرعب.. نصف من فيه يقهرهـــا.. ونصفه الآخر يعتقد أنه ينصفها.. فخـــيرني الجهـــلاء بـــين أن أرتدي ما يرونه هم مناسبًا وبين أن يصبح جسدي رخيـــصًا.. مستباحًا لكل من رأى فيه ما يعجبه..

فاليوم يرون أن عيني عورة يجب إخفاؤها وغدًا ســـيرون في عقلي عار لا بد من اقتلاعه...

فأصبح نفاقهم لا يطاق.. وأكاذيبهم لا تحتمل..

ففي أثناء مطالبتهم لي بتغطية عقلي.. يتبـــارون في إثبـــات رجولتهم المفقودة على غيري من النـــساء.. عفـــوًا.. أقـــصد

الجواري.. فسمح لهم ضميرهم الغائب وعقلهم المريض بـأن يجدوا المبررات لغيرهم من حيوانات الطرق وكلاب السكك.. فهم معذورون.. مكبوتون.. محرومون..

فالمرأة دائمًا هي السبب.. وملابسها هي المتهم الوحيد.. فأصبح فشلهم في استخدام نعمة العقل وفضيلة التمييز خطأ آخر علي أنا وحدي تحمله..

وتوالت التصنيفات الظالمة:

فأنا إما منتقبة فاضلة..

فالنقاب هو الدليل الوحيد على الفضيلة أيًّا كانت نوايا من ترتديه.

أو محجبة محترمة.. ولكن تنقصها الفضيلة.. فضيلة تغطية الدماغ وحجب العقل.

أو سافرة لا هم لها سوى استجداء نظرات الجائعين.

فأصبحت من أصحاب المعجزات وجمعت بين النقيضين: الجاني والمجني عليه.

ومن عارضت فهي كافرة.. ومن ناقشت فهي مجادلة.. ومن اعترضت فهي تتحدى أوامر الله ورسوله...

قهروني باسم الدين.. والدين منهم بريء.. فوجدت نصفًا آخر يدّعي إنصافي.. يدعو إلى تحرري من حجـاب وصـف بالقهر.. ومن دين وصف بالرجعية.. فلقبوني بالتحفة والحجر النفيس الذي يجذب عيون المعجبين.. وتباروا في إثبات فروض الولاء والطاعة بكلام زائف ودفاع كاذب عن قيم مشبوهة.. فانتقدوا عبودية الجهلاء لجسد المرأة.. وأصبحوا هم عبيد أفكار أكثر مرضًا..

وبين دعاة التحرر من "الكفر" و"الفسق" لدعاة التحرر من الحياء... يا قلبي لا تحزن.

فالحجاب لم يكن أبدًا رمزًا للقهر.. والدين هو من كرّمني.. إنما القهر.. كل القهر.. في أن أجبر على ما لا أريد.. وأنـا لا أريد التحرر من ديني.. بل أريد التحرر ممن يدعون تطبيقه وهم أجهل الناس به.

ولا أريد التشبه بالرجال.. بل أريد منهم أن يتقـوا الله في أنفسهم قبل أن يتقوه فينا.

لا أريد التشدق بكلام بالٍ.. تكرر حتى مللناه.. عن حقوق نسبت إلي دون أن أطالب بها.. بل أريد أن أعامل كإنـسان.. عقله يحترم وجسده له قدسيته.

فأصبح هؤلاء من المحسوبين علي وأنا لست في حاجة لهم.. فأنا لست بتحفة لأحد ولن أكون..

ومن لا يرى فيَّ سوى جسد جميل يدعو لتحريره من قيود الحياء والطهارة.. لا يفترق كثيرًا عمَّن يدعو لرجمه وتطهير الأرض من فتنته..

فجهل السفالة ليس بأفضل من جهل القمع.. الاثنان في النهاية وجهان لعملة واحدة.. عملة الغباء...

فأنا من كانت طفلة الأمس وأصبحت شابة اليوم..

أنا من كانت خطيئتها في كلمة كتبت في شهادة ميلادها.. "النوع: أنثى"..

أنا من تعيش في مجتمع جاهل يعتبر الأنوثة عارًا.. ويرى في المرأة أداة للمتعة وآلة لإنجاب الذكور..

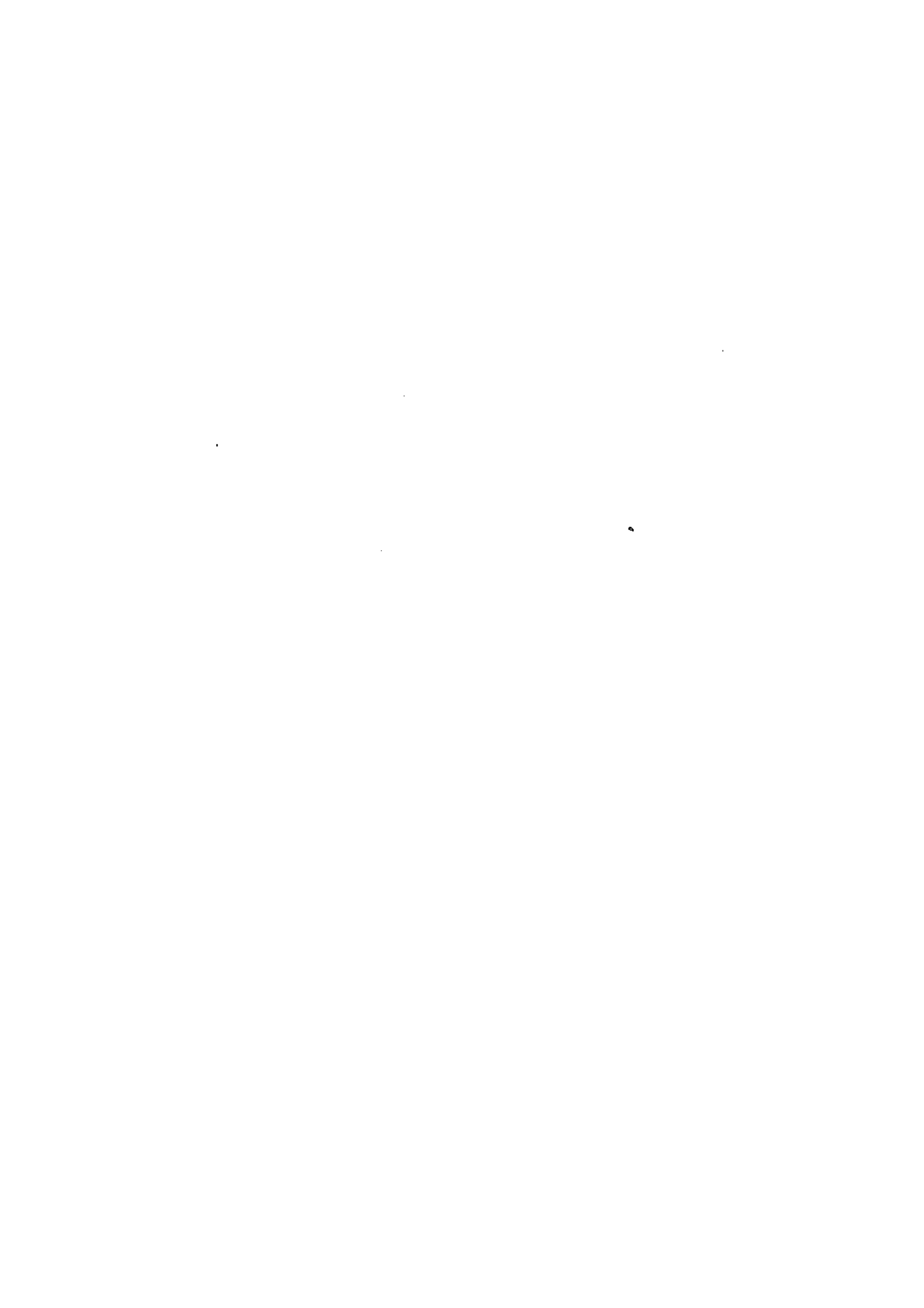
أنا من كرمها الله وأوصى بها رسوله بالأمس.. فخسف بها الجاهلون الأرض اليوم..

فأنا المرأة التي تنتمي لمجتمع كرمه الله بدين هو الكمال كله.. فانتقى منه ما يرضي كبرياءه الذكوري..

أنا من أنصفها أهل السماء.. و"فطّسها" أهل الأرض..



يوميات جميلة



يقولون عني جميلة..

لا ليس الجمال الذي تنسب إليه كل فتاة نفسها.. فالواحدة منهن ترى نفسها جميلة وإن كانت تشبه الأوتوبيس المقلوب.

لم يكن هذا النوع من الجمال الذي يلفت النظر.. لكنه جمال من نوع آخر.. جمال إن نظرت إليه طويلًا فقد خاطرت بفقد بصرك!

فجمالي لم يكن مثيرًا.. لكنه كان فاتنًا.. شعر داكن وعينان في وسع الحياة.. حاجبان وُضِعا في مكانهما بالضبط.. وفم بلون التفاح.. كفيل بأن تقضي على أكثر الرجال قوة.

لم أكن ألتفت إلى الرجال الذين التفوا حولي أينما مشيت.. لن أنكر أنني كنت أستمتع بنظراتهم إلي.. فإحساسي بأن لشكلي الخارجي تأثير يقهرهم كان يشبع في جزء من ساديتي، كذلك إحساسي بنظراتهن حينما أجتمع معهن في مكان واحد.. ولكني أعذرهن أيضًا.. فلو كنت مكانهن ورأيت مكاني يتضاءل أمام امرأة جميلة مثلي.. لشعرت بأضعاف أضعاف هذه الغيرة.

رفضت الزواج لأني اقتنعت بأن من يستحق امرأة مثلـــي لم يخلق بعد.. فالرجال يفضلونها جميلة.. لكن أن يجتمع الجمـــال مع الذكاء.. فهذا خليط قاتل بالقدر الكافي.

شيء جدًّا صعب(صعب جداً – أو جد صـــعب) أن أرى قلب رجل وقد انكسر تحت أقدام امرأة جميلة.. ومع ذلـــك لم أكن أستطيع منع شفتاي، من رسم ابتسامة سخرية كلما تكرر هذا المشهد أمامي.. فأنا لم أكن يومًا من هولاء اللاتي وصفهن نزار بأهن ينتظرن بثياب لم تُلبس وصول ورود لن تأتي ورسائل لن تصل.. فأنا أستمتع بتكرار نفس السيناريو مع تعدد أبطاله..

مقابلة.. فنظرة.. فانبهار.. فمحـــاولات مـــضنية للفـــت انتباهي.. فاقتراب مع شعور زائف بقرب الوصول.. فـــصدمة قاتلة!

مع تكرار الموقف مرَّنت نفسي علـــى أن أتوقـــف عـــن السخرية.. فادعاء التعاطف أكثر قسوة بكثير...

يقولون إني مريضة.. فليكن.. فليس مطلوب من الجميلة أن تكون سوية أيضًا!

قالوا إن الرائحة هي التي أرشدهم إليّ.. كان قد مر أسبوع كامل على موتي في هذه الشقة الرمادية التي اســـتأجرها منـــذ

خمسة عشر عامًا.. فلم أكن لأسمح لأحد ممن أعرفهم أن يـــرى التجاعيد التي غزت وجهي.. أو اختفاء شعراتي البنية لتُستبدل بأخرى بيضاء باردة فشلت الصبغة في إخفائها!

دلَّهم على موتي مواء قطتي جوعًا وعطشًا.. فهي الكـــائن الوحيد الذي تحمل الحياة معي لأكثر من نصف ساعة..

أوغاد هم.. فحتى جارتي هذه لم تفكر في السؤال عني مـــع أني أعطيتها يومًا ما أغلى نصائحي لجمال البشرة..

تركوني حتى أرشدتهم عني رائحـــة لم تـــستطع برفانـــات الخمسين سنة الماضية في إخفائها..

تركوني لأكتشف متأخرة..

أنه حتى الجميلات يُصَبْنَ بالوحدة...

إدراكات

الغموض لا يناسبني..

ومُدَّعي الغموض الساعين للفت الانتباه أغبى من أن أكون منهم، ولكن ليس ذنبي أنك لا تفهمني..

فأنا ١٠٠ امرأة اجتمعن في جسد امرأة واحدة

ويقولون إن التعامل مع حواء واحدة صعب!!

***

لا أهتم بالسياسة حتى ألاقي مكانًا لي في حياتك.. فألاعيب النساء لا تناسبني ولن أتعلمها، ولا أهتم بالطبخ حتى تجد ما تأكله..

أطبخ فقط لأني أحبك..

فعندما أتوقف عن الطبخ من أجلك.. اعلم أنني توقّفتُ عن حبك

***

لأني عرفتك أكثر من نفسك

لعنت نفسي ولعنت عقلي

تمنيت أن يكون ما عرفته وهمًا

فأن أخسر جزءًا من ذكائي..

أفضل عندي من أن تتشوَّه صورتك النقية المرسومة داخلي

***

كنا وكان وكانت

فأصبحنا وأصبح وأصبحت

لم لا يبقى شيء على حاله؟

***

عندما رأت نظرات التصديق والاقتناع التام في أعينهم عرفت أنها تمتلك موهبة التمثيل.

***

إن أصعب أنواع الوهم

هو الوهم الذي تصنعه أنت وتستمر فيه حتى تصدقه فتؤمن بأنه في حقيقة الموت والحياة.. حتى تـأتي اللحظـة المنتظـرة لتكتشف أنه لم يكن مزيفًا.. وأن عقلك أنت هو ما كان مغيَّبًا

***

قلت إنني لا أحب الأدب والأشعار

فتعجبت لكوني بهذه الواقعية.. فالفتيات لا يفتنهن إلا الكلام المغطى بالألوان.. المحلى بالسكر

فقالت إنها تعشق أشعار نزار وترقص على موسيقى كلمات شوقي وناجي

فوقفت مشدوهًا بها.. مع إنها لم تقرأ حرفًا في غير مجلات البشرة وتصفيفات الشعر

لو كنت أعلم أن النفاق هو طريقي لقلبك.. ما كنت تحملت عناء جمع بقايا حياتي لأهديها إليك

***

عجيب أمر الكلمات.. وحدها تمتلك القدرة على اللعب بأوتار القلب وتحريكها في كافة الاتجاهات.. فالكلمة تحيي وتميت.. تفرح وتشقي.. تعطي الأمل وتضفي اليأس..

تمنيت كثيرًا أن أفقد أذناي قبل أن أسمع منك ما يجعلني أعرف أن حقيقتك التي رسمتها.. ما هي إلا حبر ملكي رسمته على ورق تمتلكه الحياة.

***

وكلما ازدادوا قربًا منك..

كلما زادت قدرتهم على قهرك باسم الحب..

والضغط عليك باسم العشم..

ومحاصرة حياتك وانتهاك خصوصيتك باسم الصداقة

***

ألم تقولي إنك توأم روحي؟

ألم تطالبيني الآن بأن أحكي لك تاريخ حياتي

لا يولد التوائم في يوم واحد.. من رحم واحد..

عليكَ أن تعرف تاريخي وحدك فموهبة الكلام ضاعت مني

كغيرها من مواهبي الصغيرة التي ابتلعتها الحياة.

***

الأنانية هي أن تفكر في نفسك ومصلحتك ومستقبلك وحياتك.

الأنانية هي أن تفعل ما يسعدك في الوقت الذي تريد مع الشخص الذي تحب.

إذن فالأنانية هي أن تكون إنسانًا.. قررت أن أكون أنانية!

***

لم أحلم يومًا بأن أكون ملاكًا.. فقط طالبت أن أقبل كما أنا..

ألا أتقبل سخافات الآخرين التي تفوق السماء طولًا؟

حقي في الحياة أن أُقبل كما أنا لا كما أردت أنت أن أكون

***

أن تخطئ في حق غيرك فهذا يستوجب الاعتذار

من الممكن أن يهين الاعتذار كرامتك..ولكن من غير الممكن أن تطالب غيرك بالاعتذار عن خطأ ارتكبته أنت في حقهم..

فالقهر مؤلم بما فيه الكفاية..و لكن أن يأتي منك أنت فهذا فوق [illegible] على الاحتمال.

***

ليس غريبًا أن تنجذب إلى ما يشقيك

فنظرية الممنوع مرغوب انعكاس للطبيعة البشرية، ولكن الغريب اكتشافك أن الشيء الوحيد الذي يسعدك هو أكثر شيء مارست معه لعبة الهروب.

***

بعد أربع سنين "رجعت ربما لعادتها القديمة"

وبعد سنتين اكتشفت أن لا أحد يتغير

أأعتبرها قاعدة؟!

***

الحب موهبة اكتشفت أنني لا أمتلكها!

***

أنا لا أبكي على اللبن المسكوب..

فـــدموعي أغلـــى مـــن أن تهـــدر علـــى ضـــائع لكني أبكي على أشياء ما كان لها أن تضيع..ولكنها تاهت في زحام الحياة

***

ليس انتحارًا أن تقطع شرايين يديك!!

الانتحار الحقيقي هو أن تقف أمام المدفع وتدعوها شجاعة.

***

عندما تراني قوية.. فاعلم وقتها.. وقتها فقط..أنني في أعمق لحظات ضعفي!!

نصف يوم

١٢ ساعة حتى اللقاء..

تتلاحق أنفاسي من فرط السعادة.. فأحيانًا ما تكون الفرحة أكبر من استيعابي وكثيرًا ما أعتقد أنني لا أستحق كل هذه السعادة..

فماذا فعلت أنا حتى أستحقك؟ وماذا جنيت أنت حتى أكون أنا قدرك؟

كنت أظن دائمًا أن للفرحة ناسها.. حتى أتيت أنت.. فعرفت أن ناسها هم أنا وأنت..

أضع فستاني الأسود فوق الفراش.. أُخرج مساحيقي وأضع نقاطًا من عطرك حولي.. حتى أتخيل أنك هنا تختار معي وتتذمر لتاخيري "مثل كل بنات حواء المملين"..

١٠ ساعات حتى اللقاء..

كل شيء في مكانه.. حذائي العالي على الأرض.. عيناي لا تفارقان ساعة الحائط التي أحضرتها لي يوم تأخرت عليــك في أول لقاء لنا.. أتذكر وقتها حمرة وجهك وأنت تصرخ بأني لا تكفيني ساعة يد رقيقة مثل كل البنات.. وإنما أنا أستاهل ساعة الصحيان على صوت ساعة بيج بن.. حتى أتعلم كيف أتركك تنتظر مرة أخرى...

لم أقل لك وقتها.. أني كنت أقف خــارج المقهــى قبــل موعدنا بنصف ساعة كاملة.. لكني قررت تمثيل دور التقيلــة حتى نهايته..

٨ ساعات حتى اللقاء..

أكاد أجن من كثرة الانتظار.. أفــتح كتابــك متظــاهرة بالقراءة.. في حين أنني أمتع نفسي بفكرة أنني الآن أمر بعــيني على السطور نفسها التي كنت تمر أنت عليها.. أركــز بكــل حواسي محاولة أن أسترجع الافكار نفسها التي كانت تمر ببالك وأنت تقرأ بجوار المدفأة التي أحضرتها لنا أمك من "بلاد بره".. لم تكن تعرف أننا لا نحتاج لمدفأة حتى لا نشعر بالبرد فالدفء عندي هو أن تكون أنت هنا.. حتى وإن لم تقل شيئًا.. فالحب عندنا حديث... كما قالت الست..

"إن لم نقله يوشك الصمت حولنا أن يقوله"..

٦ ساعات حتى اللقاء..

أقرر الصلاة.. أمسك بالمصحف متذكرة يوم رأيت حلمي الأكبر يتحقق ويمر أمام عيني هذا المشهد..

أول جمعة بعد زواجنا واستيقاظي على صوتك وأنت تقـرأ في خشوع صورة الكهف حتى يحميني الله وإياك من أعين الذين استكثروا علينا الفرحة.. فرحة اجتماعنا في بيتـ"نا" كما كنت تحب دائمًا أن تنطقها.. فأتذكر قول نزار وأهز رأسي مؤكـدة بأن "نعم.. أنا في حالة إدمان".

٤ ساعات حتى اللقاء..

أفتح التليفزيون لعلّي أجد ما يجبر الساعة علـى التحـرُّك بسرعة.. أجد هذا الفيلم الذي رأينا فيه أنفسنا..

"The story of us"..

وأمسك ببطني وأنا أراها تخبره بأنها تحمل بداخلها ابنـهما الأول.. فأرى في عينيه فرحة من رأى مشاكل دنياه تتـضائل حتى تختفي.. فولي عهده في الطريق.. قطعة منه ومـن الـتي اختارها قلبه.. وأتذكر حواري معك حول انبهاري بـشكل المرأة الحامل.. وبإحساسي بقهر الرجل في زمن تحرير المـرأة.. والظلم الواقع على عالم الرجال الذين حرموا من الإحـساس بهذه المتعة...

فأتذكر غضبي المزيف من ضحكك الهستيري على نظريتي هذه..ثم ألوم نفسي لأني لم أستطع أن أرسم على وجهك الابتسامة تلك..

ساعتين حتى اللقاء..

أشعر بتنميل في ركبتاي.. وأحاول السيطرة على تلك الفراشات التي تتحرك داخل رأسي.. فكما قلت لك أنا لا أقوى على كل هذه السعادة.. أرتدي فستاني الأسود مكشوف الكتفين.. ثم أتذكّر نظرتك العاتبة.. فأضع الشال الأحمر فوقه.. أقترب من مكان لقائنا.. وأشعر بقلبي يكاد ينخلع من مكانه..

أنظر حولي في خجل خوفًا من أن يسمع المارة صوت دقات قلبي التي تتزايد مع كل خطوة أقترب فيها منك..

أراك من بعيد فأقترب.. أترك الشال ليسقط في غضب تاركة كتفاي للهواء.. فكيف هُنْتُ عليك لتتركني هنا وحدي؟ وكيف استطعت أن تخلف وعدك معي بأنك ستظل دائمًا "هنا"...

جزء مني لا يزال يهتم

أحبَّها كما لم يحب أحدًا من قبل.. أحبها بكل ما يملك من طاقة للحب.. وبكل طرق الحب التي عرفها والتي لم يعسرف حتى أنه يمتكلها حتى دخلت هي إلى حياته.

ولكن الفرق هو أن حبه جعله يقول ويفعل.. أمـــا هـــي فكانت تفعل فقط..

فمن قناعاتها الثابتة أن ندم ما لم يُقَل أشد كثيرًا من ندم ما قيل.. لذا كانت تعلم أن الندم سيأتي يومًا لا ينفع معه نــدم.. فقررت أن تعوض ما فات.. ولكن على طريقتها هي..

فراقها كان صدمة أكبر من احتماله.. وتلك الرسالة الـــتي حدثته عنها كانت آخر ذكرى يملكها لها.. كثيرًا ما حدثته عن تلك العلبة الزرقاء التي تحفظ رسالتها.. وكثيرًا ما جعلته يقسم على ألا يفتحها إلا حينما تغادر هي هذه الدنيا.

الآن فقط يتمنى أنه لم يفعل.. يتمنى لو أنه صام لبقية الدهر حتى يكفِّر عن قسمه.. فهو كان على أقل تقــدير ســيعرف مبكرًا كل هذه الأحاسيس التي كتبت عنها.

شيء بداخله كان دائمًا ما يخبره بأنها تخفي بداخلها أكثـــر بكثير مما تبدي.. لكنه كان دائمًا ما يقول لنفسه إن ما تبديـــه أفقده عقله بما فيه الكفاية.. فماذا لو رأى منها المزيد؛ لذا قرر أن يكتفي بما يظهر منها.. وكان يراه أكثـــر مـــن المطلـــوب ليحبها.. كل هذا الحب كان يضع رسالتها بجانبه ليقرأها قبـــل أن ينام.. لكنه حتى اليوم لم يجرؤ على فتحها...

شيء ما جعله يعتقد أنه إذا كانت رسالتها هي آخر ما تقع عليه عينيه قبل النوم فهذا يعني أنها ستزوره في أحلامه.. أي إن هذا سيعطيه الفرصة لتظل معه لست ساعات على أقل تقدير.. ست ساعات إضافية معها.. كأنه حلم آخر...

يخرج علبتها الزرقاء ويقرأ:

حبيبي..

نعم حبيبي.. لا تتعجب.. فأنت لم تسمع ترتيب الأحـــرف ربما لم أقلها لك كثيرًا.. وربما لم أقلها أبـــدًا.. لكنـــك أنـــت وحدك من استحقها.. ولأنك كما عهدتك دومًا صادق.. فأنا على يقين من أنك صنت عهدك معي فمعنى أنك تقرأ كلامي هذا الآن أنني أحدثك من العالم الآخر.. هذا العالم الذي طالما حدثتك عن رغبتي في أن اكون جزءًا منه.. وطالمـــا أغـــضبك حديثي هذا.. وكنت دائمًا ما تنهيه بغضب "ربنا يجعل يـــومي قبل يومك".

فينتقل غضبك إليَّ وأصيح قائلة:

"بعد الشر.. اسمها يجعل يومنا مع بعض.. أنـــت فـــاكرني هسيبك تتجوز عليَّا؟"

لعلك تتعجب الآن من رغبتي المستميتة في أن أكتب رسالتي هذه.. وإلحاحي الشديد بأن تقرأها و زنى الأشـــد بمكانهـــا.. وبمكان العلبة الزرقاء.. ولكني على ثقة من أن تعجبـــك هـــذا سيختفي بمجرد أن تنتهي من القراءة...

كتبتها لأني أردت أن أخبرك وأخبرهم بما لم أجـــرؤ علـــى قوله.. ولتعرفوا ما لم يكن من الممكن أن تعرفوه إلا وأنا غائبة عنكم..

فحينما تجتمع معهم كما وعدتني.. وعندما تتذكروني كما طلبت منك أنا.. أرجوك أخبرهم...

أخبر أمي بأنني أحبها كثيرًا.. أحبها لأنها هي.. على الرغم من اختلاف شخصياتنا الواضح.. وعلى الرغم من خلافاتنـــا الدائمة.. إلا أنني أحبها بعنف.. ولم أتخيل يومًا نفسي ابنة لأم غيرها.. أخبرها بأنني كنت أجبن عن أن أعبر لها عن إحساسي نحوها.. وأخبرها أيضًا بأني تمنيت لو كنـــتُ الـــسند الـــذي احتاجته عندما فقدت أبي.. فألم اليتم لم يخفف منه إلا رغـــبتي في أن أكون "هنا" معها..

وأخبرهن أن وجودهن في حياتي نعمة حقيقية من ربي.. فمعهن عرفت معنى أن يكون لك أخوات لم ينجبهن والداك.. واطلب منهن أن يسامحني على إبعادي لهن عندما كنت في أشد لحظات ضعفي.. واشرح لهن أنني أبدًا لم أقصد أن أقلل من دورهن في حياتي.. ولكن كما تعلم.. هكذا أنا.. فقدرتي على إبعاد الآخرين تزداد كلما ازداد احتياجي لهم.

وأخبر أخي أنني وددت لو كنت القدوة التي يستحقها وأوصه بألا يعير كلامهم أي اهتمام..

فلماذا يصبح مثلي إن كان أمامه أن يكون هو؟ فأنا لم أتمنَّ يومًا أن يكون مثلي.. فقط رغبت في أن أراه سعيدًا..

وأخبر نفسك بأن غضبي الظاهر على ملابسك المبعثرة وجريدتك المنكوشة ونظارتك المشبَّرة كان أقل بكثير مما أشعر به.. فأنا أحبهم كما هم لأني أحبك كما أنت.. أتذكر أنهم جزء منك.. فأحبهم لأنهم أنت.. وبأن غضبك من قراءتي المستمرة أو "هوايتي الأنانية" كما كنت تسميها كان يزيد من تمسُّكي بها.. فأنا قوية إلي حد السيطرة كما تعلم.. ولكن ليس معك أنت..

فأنا لا أقرأ لأتثقف.. أقرأ فقط لأقنع نفسي كذبًا بأن حياتي بها ما يشغلها سواك.. ولكن بعض الإلحاح منك كان يكفي لأتنازل عنها أيضًا..

فصدِقًا..حتى الآن لا أعلم لماذا تتلاشى قوتي أمامك كخيط رفيع من الدخان.. ولأنك تعرف أن الأفلام العربية ليست من هواياتي فأنا لن أطلب منك أن تتذكرني عند قرص الشمس الأحمر الدامي فأنا أكثر أنانية من ذلك.. سأطلب منك أن تذكرني بكل ما تملك من طاقة على التذكُّر..

اذكرني عندما يخرج صوتها وهي تدندن بـ"وأنا بأيام الصحو.. ما حدا نطرني"..

وعندما تتذكر ضحكتي الطفولية حينما تشدو أنغام بأن "برًّاها صمت حزين.. جُوًّاها حرية"..

واذكرني عندما تتذكر غضبك المختفي وراء كبريائك الذكوري كلما بحثت عن الغيرة في عيوني وأنت بينهن.. ولم تجدها.. فإثارة غيرتي يا حبيبي ذنب لو تعلم عظيم...

اذكرني حينما تجد الجريدة أمام الباب دون أن تجد من يدخلها.. وحينما تتذكر فلسفاتي المملة عن البدايات التي لم تنتهِ والنهايات التي بدأت مبكرًا.

واذكرني عندما تنتهي قهوتك المفضلة.. فتقرر أن تتصل بي في عملي لنبدأ أولى خناقاتنا الصباحية.. غير أني هذه المرة لن أجيب..

اذكرني كلما شاهدت ذلك الفيلم الذي كنت أشاهده كلما أردت البكاء.. فقط لأدَّعي أنني أشفق على حال البطلة.. في حين أن حالي أنا هو الذي أشفق عليه..

واذكرني حينما تتذكر خبطاطي (خبطاتى) الهستيرية المصاحبة لحزني.. ففي حين تعتقد أنت أنني أهوِّن على نفسي بالطَّبْطَبَة أكون أنا في وسط محاولة أخرى فاشلة لإثبات أن ما يحدث حولي مجرد كابوس آخر أحاول أن أفيق منه..

واذكرني كلما لمحت صورة بيتنا الصغير المطل على البحر.. وإذا ما قررت يومًا أن تحلم به مع غيري.. فأرجوك لا تشتريه صغيرًا ولا تشتريه على البحر..

تراكَ عرفتَ الآن سبب تمسكي بأن تقرأها الآن تحديدًا.. كتبتها لأن جزءًا مني لا يزال يهتم..

يهتم بأن تعرفني كما أنا.. لا كما أردت أنت أن أكون..

بقي أن أقول لك كم أحبك.. أم تراني فعلت؟! لماذا تبقى هذه الكلمة صعبة حتى في كتابتها؟

أقول لك.. فقط اذكرني...

حتى الملائكة.. تغضب أحيانًا!

"ملاك".. لم يكن هذا اسمها الحقيقي ولا حتى الحركـــي.. ولكنه كان وصفًا دقيقًا لها.. اجتمع عليه من لا يجتمعون على شيء.. من تفرقهم المصالح ولا يجمع بينهم ســـوى كـــونهم - ولحظها التعس - يعرفونها.

تناديها أمها بـــ"ملاكي".. فهي الطفلة التي لم تعرف مـــن كلمات اللغة سوى "نعم" و"حاضر"..

وهي الشابة التي كان يوم تمردها القومي يوم خرجت مـــع جارتها في تمشية حول البيت.. أعقبها كون كوب آيس كريم.. ثم عَلْقة ساخنة على جرأتها غير المعقولة "اللـــي مـــش عارفـــة جابتها منين".. حسب كلام أمها.. فتضحية أمها التي صبرت على تربيتها وأختها بعد وفاة أبيها أكبر من أن تقـــاس بمنـــع الخروج والمحاسبة على كل دقيقة تأخير.. فأخيرًا كـــل شـــيء يهون أمام ابتسامة رضا من أم مضحية.. حتى وإن كانت تعلم أنها تفضل أختها الكبيرة عليها.. فهي الأجمل.. وبالتالي الأقدر

على حلب العرسان.. أي من سوف يساعد في تولّي مصروفات البيت التي لا تنتهي أو مصروفات أختها على أقل تقدير.. وهذا يجعلها تستحق هذه المكانة في قلب أمها عن جدارة.

وهي في عينها ايضًا "ملاك".. سواء إن كانت تقصدها أم تقولها من وراء قلبها.. لأنها لا تجد وصفًا أدق.. هي كانت بالنسبة لها أختًا كبيرة.. لم تعرف تحديدًا ما هي وظيفتها أو دورها في البيت بجانب الوقوف بالساعات أمام المرآة لإظهار جمال تعرف جيدًا أنه لا يحتاج لكل هذا المجهود حتى يظهر.. أو خلف المشربية في انتظار زوج لا يأتي أبدًا.. كانت هي تمقت صمتها.. وتكره استسلامها وطيبتها الزائدة.. وكثيرًا ما كانت تدعوها بالزائفة المدعية الممثلة.. لكنها كانت تصبر وتحتسب.. فهي تعلم جيدًا أنها أبعد ما تكون عن الملائكة.. ولكن سواد الآخرين يمنعها من أن تصرح بأن لديها جزءًا أسود هي الأخرى.. وبالرغم من كل هذا فهي كانت تحبها وكفى.

وكانت في نظره هو أيضًا ملاك.. فبعد خروجة عادية مع أشخاص عاديين تزوجت بإنسان عادي شعورها نحوه عادي.. منّت نفسها بأن الفرحة العادية أهون كثيرًا من فرحة قد لا تأتي على الإطلاق.. وكعادتها حين سألوها عن رأيها صمتت..

فاعتبروا صمت ما قبل العاصفة علامة من علامات الرضا.. مع أنه وإن كان لرضا الحب علامات فآخر علاماته هو الصمت.. فالمرأة حين تحب تتمنى أن تسكت أصوات الدنيا ليبقى صوتها وهي تعلنها عالية.. فالصمت هو آخر الحلول.. حتى وإنكانت ممن لا تعرف للكلام سبيلاً.

كانت حياتها معه عادية.. أو هكذا أوهمت نفسها بعد إقناع من أمها بأن الست الشاطرة هي اللي تعرف تحافظ على بيتها.. فكانت كثيرًا ما تتغاضى عن لون الروج فوق جيوب القميص.. وعن رائحة العطور التي لا تعرفها.. ولكنها تعرف يقينًا أنها لامرأة أخرى.. وحتى لا تهين كبرياءها كامرأة فضّلت دور الخرساء على دور الضحية.. فأولًا وأخيرًا الخرس هو صديق طفولتها.. كانت الزوجة وست البيت والعشيقة حين كان يتذكر أن له زوجة.. وحتى أمام حماة دائمة السخط على ابن فضّل هذه الخرساء على ابنة أختها.. وأخت زوج دائمة التلميح وأحيانا التصريح بأنه كان "يستاهل أحسن من كدا".. صبرت وصمتت.. فمع كل هذا الشر حولها نصفها الذي تعتبره أسود قد يبدو في بياض كرات الثلج أو أكثر بياضًا.

لم تعرف تحديدًا ماذا حدث يومها.. ولا متى حدث.. ولا كيف حدث.. كل ما تتذكره هو كمية كبيرة من الدماء..

أعقبتها أصوات صراخ.. ثم وجودها في مكتب أمـــام رجـــل يرتدي الأسود ويضع الكثير من النجوم فوق كتفه.. وحينمـــا سألها كيف فعلتها وهي التي تملك هـــذا الوجـــه الملائكـــي.. أجابت بأنها قد تحتمل الإهانة والضرب والظلم.. بـــل وحـــتى الخيانة.. ولكن أن يناديها باسم أخرى فهذا هو الجرم الذي لا يغتفر.. فالملائكة قد تحتمل زلات البشر.. لكنها حين تغضب لا ترفع أصواتها.. وإنما تسقط أمطارًا!

إدراكات (۲)

يقولون إن لكل طريقة في الحب

فالبعض يظهر حبه بحلوى يدوية الصنع

والبعض الآخر يظهره بهدية بسيطة ولكن معبرة

وآخرون يظهرون حبهم بكلمة صغيرة أو نظرة ذات مغزى

ولكنها لا تعبأ بالحلوى والهدايا ولا تهمها الكلمات كثيرًا

فهي فقط تريد أن تحب على طريقتها هي.. قمة الصعوبة.. تعرف!

***

لعبة الصراحة لا تناسبها

فأن تحكي مؤلم بما فيه الكفاية

وأن تحكي لك أنت فهذا يتعدَّى مرحلة الألم..

ويصل إلى مرحلة الرعب..

***

قالت لها اتبعي خطواتي ولن تضلي أبدًا بعدها

فأجابت بأنها ترى الطريق وحدها.. وبأن مقاس حـــذائك أصغر من أن أراه

فقمة الإنجاز في نظرها ليست في كلمة "النهاية"

ولكن في أن تمشي طريقها حتى تنتهي طاقتها.. ولكن على طريقتها هي.

***

عندما رأى لمعة عيونها نظر إليها نظرة لا تمت لعالم النظرات بصلة .

نظرة حولت بكاءها لضحكة لا تعرف مصدرها

فهي لن تنسى نظرته طالما استمرت في التنفس

ليس فقط لما تحويه من حنان بالغ

ولكن أيضًا لأنها لن تستطيع أن تبادله إياها.. أبدًا

فلأول مرة تعرف أن لبعض النظرات قدرة على الاحتضان أيضًا..

***

يعرفون أنك تعرف

ولكنهم لا يعرفون أنها تعرف

يخبرونها بأنها يجب أن تعرف

فتخبرهم بأنهم لا يعرفون

ولكنها تعرف جيدًا أنك تعرف..

وأنهم يعرفون..

وأنها تعرف من قبلهم...

***

كانت تعتقد أنها تحتاجه أن يكون أكبر من الحياة نفسها

حتى يتمكن من احتواء امرأة مثلها

لكنها أدركت أنها تحتاجه فقط أن يفهمها

وعندما يفهمها يحاول أن يشرح لها.. لأنها نفسها لا تفهمها

اكتشفت أنه أن يكون سوبر مان

أسهل عليه بمراحل من مجرد محاولة فهمها.

***

كانت كلمة "زواج" كافية لتشعرها بالدوار.. الآن أصبح التلميح به أكثر من كافٍ ليفقدها ما تبقّى من عقلها!

***

قال لها إنها تبدو في غاية الجمال وهي نائمة كطفلة صغيرة لا تعرف من العالم سوى جزئه البريء.

شكرته بعيناها وقالت بصوت غير مسموع..

ولكنك لم تَرَني عندما استيقظ من النوم!

***

طالما أغواها المقعد الأمامي.. فالطريق منه أوضح وأكثر اتساعًا

ولكنها أدركت أن للمقعد الخلفي سحرًا خاصًّا

فمن قال إنها تحتاج لكل هذه المساحة

أحيانا يكون وضع الجنين هو كل ما تحتاجه..

***

فرحت بالمركب الورق فرحة الأطفال، ولكن نسيانها لها ليس عدم اهتمام.. لكنه خوف لدرجة الرعب مما تمثله له هو.

***

عندما أوشكت أن تفقدها.. عرفت أن لليتم أبعادًا أخـــرى غير فقدان الأب والأم.

***

قال لها إنه يدرك أنها صعبة المنال

وأنه على من يريد الاقتراب منها

أن يعاني لسنوات حتى يلفت انتباهها

وسنوات حتى تسمح له بالاقتراب

وسنوات حتى تمنحه ثقتها

فقالت بدون صوت إن لكل شيء سبب

وإن المستحيل بعينه أن تكون أسبابها مجرد حركات بنات..

***

أحيانًا تكون عصبيتها وصوتها المخنوق

ونظرتها الحادة وتصرفاتها العنيفة وضحكتها المبالغ فيها

طريقة أخرى لإخفاء ضعفها.. بل وانهيارها أيضًا..

***

عندما تسكت جميع الأصوات من حولها ويستمر ألم رأسها
تتأكد أن سبب صداعها المزمن أبعد ما يكون عن المـــرض
العضوي.

***

تفهم نظراته
وتحب طريقته الطفولية معها
وتضحكها كلماته غير المفهومة
فيقتلها الشعور بالذنب نحوه
فأحيانًا يكون عنفها المزيف وسيلة أخرى لإظهار امتنانها.

***

عندما تأكدت أنه عرفها كما لم يعرفها أحد من قبل..
قررت أنه وقت لعبة الهروب الكبير.

***

فقط لو كنت أتيت في زمن آخر...

***

بنت وولد

بنت وولد..

لم يكن أكثرهم وسامة.. ولكنه حتمًا كـــان الأذكـــي.. فلطالما بهرتها لمعة العيون الذكية..

كانت نحيفة.. صغيرة.. شقية..ولسانها أطول منها على حد تعبير أمها.. ربما لم تكن الأجمل.. ولكنها كانت مـــن لفتـــت نظره.

كانا طفلان لا يعرفان من الحياة أكثر مـــن حـــي هـــادئ يجمعهما.. ومدرسة واحدة.. وأوتوبيس مشترك.. وأخت لــــه كانت صديقة لها..كانت همزة الوصـــل وتلكيكتـــه المفـــضلة ليتحدث إليها.

كان يحب الحديث معها.. وكانت تهوى أن تسمعه..كـــان يحدثها عن الكورة وعن هشام عباس..

و"أنا مهما كبرت صغير".. أحدث أغاني عمرو ديـــاب.. وكانت تنبهر لمواضيعه.. كأنه يحدثها عن الذرة والكون والفن السيريالي في زمن انهيار الحضارات.. فهو يكبرها بسنة كاملة..

وكان ذلك يكفيه ليشعر برجولته..ويكفيها لتشعر بأنوثـــة لم يأت وقتها بعد.. فهو في الثامنة.. أي في قمة نضجه.. وهـــو بالتأكيد يعرف أكثر..

كعادتها عندما تشعر باقتراب أحد منها دفعته بعيدًا بكل ما تملك من قوة.. فكانت تهزأ منه مع صديقاتها برغم إعجابها به.. وكان يكسر لعبها في محاولة لرد اعتباره.

كثيرًا ما غضب منها.. وكثيرًا ما أغضبها..لكنها كانـــت تحب فيه أنه يعرف كيف يهتم بها.

حتى قررت أخيرًا الاعتراف لوالدها...

"أنا هَتْجَوِّز... يا بابا"..

وكان أبوها في حالة ذهول..فهي لم تكمل السابعة بعـــد.. ولكنها كانت مقتنعة تمامًا بأنه هو من تريد..فهو أحضر لهـــا عروستها التي نسيتها في المقعد الخلفي للأوتوبيس وتشاجر مع مصطفى الذي كان يضايقها بمشاركة أخته هنا وهذا يكفـــي ليكون زوج المستقبل فكثيرًا ما تخيلت أنها بطلـــة أســـطورية لإحدى قصص ديزني الشهيرة..وصدقت أن أمـــير أحلامهـــا موجود على أرض الواقع..وبما أنها لم تكن تعـــرف غـــيره.. فقررت أن تجعل منه أميرها.

حتى جاء اليوم الذي عرفت فيه أنها ستترك المدرسة والحي.. والبلد كلها..ونقلت إليه الخبر المفزع وهي تتطلع إلى رحلتها الجديدة.. فالأماكن لم تشكّل لها أبدًا أكثر من مراحل انتقالية..

لذا عودت نفسها على ألا تعود وداعها دون اهتمام.. وتركه دون اكتراث.

فهي لم تكن تعرف بعد معنى أن يفصل بينهما بحر وقارتان..ومر عامان وهي تتخيل أنه سيتذكرها كما تتذكره.. حتى عادت إلى بلدها مرة أخرى..وجمعت الصدفة بينها وبين أخته في مدرستها الجديدة..وسمعت صوتًا من الماضي يناديها باسمها..فمنعها خجل الأنثى التي بدأت تتكون داخلها من إجابته..وكانت آخر مرة ترى فيها انعكاس وجهه على زجاج السيارة التي كان يقف بجانبها..وتخيلت أنها لا بد وأن تكون النهاية؛ فالقدر لا يمنح الفرص مرتين.

ومرت سنوات.. كبرت فيها الصغيرة مبكرًا.. وأنهت دراستها المدرسية.ونسيت كل شيء بشأن الصغير الذي قررت يومًا الزواج منه..ولم يتبق من قصتهما سوى حلم آخر ينتهي دائمًا بعثوره عليها بعد رحلة بحث مضنية لاستكمال قصة قديمة بدأت بينت بضفيرتين وولد "لمض بنص لسان"..كمحاولة أخيرة منها للتشبث بآخر خيط يربطها بحياتها القديمة..

وتمر السنوات وتنساه أو تتناساه..حتى تجد رسـالة منـه.. فتفرح كالأطفال لأنه لا زال يتذكرها..ثم تفاجأ بمن اعتبرتـه جورج كلوني وقد أصبح يشبه مساري..فتصطدم بنت البلـد داخلها بالولد الروش الذي أصبح عليه..فكتبها وأغانيها القديمة وأحلامها القادمة لا يمكن أن تلتقي بموسيقى الراب و"الـبيرة المشبَّرة" وحفلات العين السخنة..وتكتشف أن "مفيش حاجة بتفضل على حالها".. فتقرر أن تمضي في حياتها..وأن تتغطَّـى كويِّس قبل ما تنام.. فلا هي أميرة من أميرات الحواديت..ولا في فارس بيوقَّع بنطلونه ويوقَّف شعره...

عندما قالت شكرًا

شكرًا..لطوق الياسمين..وضحكت ساخرة له..وظننتُ أنكِ تعرفين..معنى سوار الياسمين.. يأتي به رجل إليك..ظننتُ أنكِ تدركين...

أحبها فقدَّرت مشاعره.. وشكرته عليها..تعمَّدت عدم الرد بالكلمات.. واكتفت بابتسامة..فأي كلام يقال سوف يجـــرح مشاعره.. هو ظن أنها لا تعرف معنى هديته..وأن هـــذا هـــو السبب في عدم اكتراثها.. لكن الحقيقة..أنها كانت تعلم جدًّا.. ولكنها لم تطلب طوق الياسمين.. فهو من تطوَّع بإحضاره..

وجلستِ في ركن ركين.. تُسَرِّحين.. وتُنَقِّطين العطر مـــن قارورة.. وتدمدمين.. لحنًا فرنسي الرنين..لحنًا كأيامي حزين.. قدماك في الخُفِّ المقصَّب.. جدولان من الحـــنين..وقـــصدتِ دولابَ الملابسِ.. تقلعين.. وترتدين.. وطلبتِ أن أختار مـــاذا تلبسين.. أَفَلي إذن؟.. أَفَلي أنا تتجملين؟

كان صديقًا لها..ولم تدَّعِ هي غير ذلــك..اهتمــت بــأن تشركه في تفاصيلها الصغيرة من باب الصداقة..واهتم هو بكل ما يحيط بها لأنه أرادها حبيبة..توهم أن كل ما تفعله ما هو إلا ردود أفعال لمشاعره هو نحوها..مشاعره التي لم يصرِّح لها بها.. ولكنه توقع أن تفهمها وحدها..وتوهم أنها تتحمل له هو..مع إنها لم تصرِّح بذلك..

ووقفت..في دوامة الألوان ملتهب الجبين..الأسود المكشوف من كتفيه..هل ترتدين؟ لكنه لون حزين..لون كأيامي حزين.. ولبسته.. وربطت طوقَ الياسمين.. وظننتُ أنكِ تعرفين..معــنى سوارِ الياسمين.. يأتي به رجل إليكِ.. ظننت أنك تدركين...

ويستمر في أوهامه.. وتستمر هي في حياتها.. يدقق في ثيابها لأنه يحبها.. وتدقق في مظهرها لأنها تحب سواه..

هذا المساء بحانة صغرى رأيتُكِ ترقصين..تَتَكَــسَّرين علــى زنود المعجبين.. تَتَكَسَّرين..وتُدَمْدِمين في أُذْنِ فارسكِ الأمين.. لحنًا فرنسي الرنين.. لحنًا كأيامي حزين.. وبــدأتُ أكتــشف اليقين.. وعرفتُ أنكِ للسِّوى تتحملين..وله ترشين العطــور.. وتقلعين وترتدين.. ولمحت طوق الياسمين..في الأرض.. مكتوم الأنين.. كالجثة البيضاء.. تدفعه جمــوع الراقــصين.. ويهــمُّ

فارسك الجميل بأخذه فتمـــانعين.. وتقهقهـــين.. "لا شـــيء يستدعي انحناءك ذاك طوق الياسمين..."

كانت تحب غيره.. تغني لغيره.. تراقص غـــيره.. فكيـــف يطلب منها تقدير ما لم يقله هو؟

فهو الذي قرر تغيير مسار علاقة ما كان لها أن تتغير مـــن الأساس.. أرادته صديقًا.. فقرر هو أن يتخذ منـــها حبيبـــة.. فكيف يطلب منها أن تتجاوب مع مشاعر لا مكان لها ســـوى في قلبه هو فقط؟.. فسقط طوق الياسمين.. ومعه رمز حبه لها.. ولم تهتم بالتقاطه.. فهي بين يدي فارسها الـــذي اختارتـــه.. فكيف تتركه لتلملم بقايا قلب آخر؟.. فالشفقة في هذه الحالة مؤلمة أكثر من ادّعاء التجاوب..أحبـــها فـــشكرته وقـــدرت مشاعره.. وأحبت غيره فاتهمها بالظلم والقسوة.. ولكن ليست القسوة في إخباره بحقيقة مشاعرها..ولكن القسوة نفـــسها أن تدعي شعورًا ليس موجودًا حتى لا تجرح إحساسه...

بين الصداقة والحب شعرة.. تمامًا كـــالتي بـــين "شـــكرًا" و"أحبك"...

فهي تقدر شعوره نحوها.. ولكنها فقط.. لا تحبـــه.. ربمـــا كانت تكابر..وربما وجودها بجانب الآخر دليل قاطع على عدم اهتمامها.. ولكن الأكيد أنها.. قالت.. شكرًا...



وجهي الآخر



وجهي الآخر..

وجه طفلة في الخامسة.. طفلة مستعدة لدفع باقي عمرها مقابل الإجابة على سؤال واحد..

ما الذي ألقى بها في عالم الكبار؟

وجهي الآخر..

يعرف من نقاط الضعف أكثر مما يعرف من نقاط القوة.. ويعرف من التناقضات أكثر مما يعرف من المتكاملات..

وجهي الآخر..

يرفض شعار العاقلة دائمًا الذي ألفوه وصدقوه.. فهو على استعداد تام لأن يترك العقل لأصحابه ليدخل في حالة مستمرة من "الجنان الرسمي"..

وجهي الآخر..

لديه قاموس خاص به.. فالطبيعة لا تضطهدني حينما "تدخل حاجة" في عيوني كلما أردت البكاء.. و"كويسة" تعني

أنني في أسوأ حالاتي.. فوجهي الآخر يعرف أن سكوتي لـيس هدوءًا.. إنما هو الغضب نفسه.. وأن صوت الموسيقى المرتفـع في غرفتي ليس إلا محاولة لاختلاق شعور زائف بالسعادة لعلّي أصدقه.. ولعلّهم أيضًا..

وجهي الآخر..

يدَّعي التأقلم برغم شعوره العميق بالغربة.. يدَّعي الفهـم بالرغم من كثرة الألغاز من حوله.. ويدَّعي السعادة بالرغم من حالة التبلد التي أصابته منذ فترة ليست بالقصيرة...

وجهي الآخر..

يرى في البحر ثلاث صفات تمنى أن تكون فيـه..وصـفة واحدة جمعت بينهما..فالعمق والنقاء والوضوح سمات تمناهـا كثيرًا.. والثورة وقت الغضب هي العامل الوحيـد المـشترك بينهما..

وجهي الآخر..

كثيرًا ما تتشابه ملامحه مع ملامح أزميرالدا غجرية ديـزني الشهيرة.. فهي جمعت صفتان وُلِدا فيه قبل أن يعرف طريقـه للحياة.. التمرد وعشق الحرية..

وجهي الآخر..

يسامح.. لكنه أبدًا لا ينسى..

وجهي الآخر..

الكذب أكثر ما يؤلمه.. فإهانة الاستهانة به وبعقله لا تعادلها أي إهانة أخرى..

وجهي الآخر..

يفتقد إنسانًا واحدًا جمع بين نقاء الأطفال وخلق الرجال..

وجهي الآخر..

لا زال يؤمن بأن "بابا نويل" سيأتي يومًا ومعه الهدية التي رغب فيها منذ كان طفلًا.. وبأنك لما تنام وتصحو ستجد كل شيء على ما يرام.. وأنه "راح عند ربنا وراجع تاني"..

وجهي الآخر..

يعرف الكثير عن معادن الناس.. ولكنه يختلق لهم الكثير من المبررات.. ويصدقها.. فألم الصدمة في المقربين لا يخفف منه إلا الادعاء الزائف بأنهم "أكيد ما كانوش يقصدوا"..

وجهي الآخر..

يستمتع كثيرًا بأشيائه الصغيرة التي لا يعرفها غيره.. بالرغم من اعتقاد الكثيرين أنه صعب الإرضاء...

وجهي الآخر..

به الكثير من العنف المستتر خلف وجه هادئ كنوع من أنواع النفاق الاجتماعي.

وجهي الآخر..

لديه من الخيال أكثر مما لديه من الواقعية.. فحلم الطيران لا زال يراوده كلما سنحت له الفرصة بالظهور بالرغم من اقتناعه التام بأن الجاذبية الواقعية ستسحبه آجلًا أو عاجلًا إلى عالم الواقع الكريه..

وجهي الآخر..

لا زال يتعجب من سواد قلوب البعض..بالرغم من ادعائه الدائم بأنه "ما بقاش يستغرب"..وكثيرًا ما يبحث عن هذا السواد داخله.. "لأنه أكيد موجود".

وجهي الآخر..

يدفن غضبه في الشوكولاتة.. يدفن يأسه في كتاب لا تحزن.. ويدفن حزنه في فيلم "**The lake house**".. فالسعادة تأتي دائمًا لمن ينتظر.. أو هكذا يقولون..

وجهي الآخر..

يضع لافتة "ممنوع الاقتراب أو التصوير" أمام كل من يحاول أن يعرف عنه أكثر مما يريد هو أن يُظهِر..

وجهي الآخر..

يشعر ببعض الحسد على الذين اختاروا أن تتوقف حياتهم عند سن محدد.. يسموهم "متخلفين"..ويسميهم "المرتاحين".. فهم ارتاحوا من التفكير الذي أدمنه هو.. حتى أثناء النوم..

وجهي الآخر..

لا يحلم بأضواء مسرح العرائس.. بل يحلم بأن يكون ضمن الذين يحركون العرائس.. فمكانهم الكواليس..لكن دونهم لا قيمة للمسرح...

وجهي الآخر..

جمع بين الشقراء المتحررة.. والسمراء المحافظة.. فالاثنان متلازمتان لا تفترقان .. في الشخصيتين: الظاهرة والخفية..

وجهي الآخر..

يرفض دور الضحية لأنه لا يناسبه..ويرفض دور القاضي؛ لأنه يكره أن يأتي اليوم الذي يحكم فيه الآخرون عليه..

وجهي الآخر..

يحب الحياة كثيرًا.. ولا يكره الموت..



الجاحدة والأناني



بدأت مشكلتي معه عندما أدركت أنه يحبني..ولكن بطريقته هو..فلم أكن أشكو مما تشكو منه زميلاتي النساء من بخل الإحساس وأنانية التفكير وقلة التعبير.. على العكس...

فأنا كثيرًا ما كنت أمل الورود والهدايا التي لا تنقطع.. والمكالمات الهستيرية.. ولكن..كيف أشرحها؟.. حسنًا.. فهو يفعل كل هذا بأنانية...

جاحدة أنا.. هكذا يعتقد.

لم أعرف ماذا أفعل أكثر من هذا فأنا لا أدع ساعة تمر إلا وأنا أُشعرها بوجودي.. لم أتوقّف عن شراء الهدايا الغالية بعد زواجنا حتى لا تشعر بأنني تغيرت معها شأن كل الرجال..لن أنكر أن عملي يأخذ معظم وقتي..ولكن في النهاية باقي يومي لها هي..ولن أخفي أن لي بعض النزوات النسائية.. وعلى الرجل الذي لم يلمس امرأة غير امرأته أن يرمني بحجر..فكلنا في النهاية.. رجال..

أناني أنا.. هكذا تراني.

لم أكن أملك عند زواجي سوى سوار ذهبي.. وملابس أختي الكبيرة.. وفستان زفاف لم نملك ثمن شرائه فاكتفت أمي بعد محايلة مضنية باستعارة فستان بنت جارتنا التي تزوجت من أحد أثرياء العرب.. وكان هو يعلم ذلك.. وإن لم يخبرني به أبدًا.. لا أعرف ماذا أفعل أكثر من ذلك؟!

فهي لم تكن تعرف من الأماكن سوى كوبري أكتوبر والقناطر.. فأصبحت على دراية بأفخم مطاعم القاهرة.. ولم تعرف يومًا معنى أن تكون لك ملابسك الخاصة.. فأصبح دولابها ممتلئًا بماركات لم تكن تراها سوى على أغلفة المجلات.. وبعد كل هذا.. تتهمني بأنني لا أهتم!

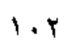
لن أنكر أنني أحببته..

فكثيرًا ما كنت أرى في عينيه تلك النظرة التي لا أعرف لها اسمًا..ولكني أعرف يقينًا أنها تميِّز عينان تقعان على شيء تحبانه..فلا تجدان غير النظر إليه سبيلًا..كنت مستعدة لأن أدفع الباقي من عمري حتى أرى هذه النظرة في عينيه كلما نظر إلي..لدرجة أنني تساهلت وأنا أعلم بخياناته المتكررة.. ففي النهاية.. أعلم يقينًا أنه سيعود إليَّ وحدي.

لا أدري إن كنت أحببتها أم أنني كنت أشفق عليها لا.. أعلم.. فأنا أحببتها..يكفي أنها الوحيدة التي أقنعتني بأنها تستحق الحياة معي.. ولذا لم أبخل عليها بوقتي وثروتي.. فبين جدولي المزدحم بالمواعيد وحياتي الاجتماعية التي كانت تعلم مسبقًا أنها ممتلئة عن آخرها..كنت دائمًا ما أجد لها وقتًا خاصًا بها وحدها..

فماذا تريد المرأة من رجلها أكثر من أن يكون لها مكان في عالمه الممتلئ بغيرها؟

جاحدة هي.. ومؤخرًا أصبحت طماعة أيضًا!



مشاهد.. نقطة رجوع



كانوا يرونها.. مختلفة كثيرًا.. ما اعتبرت نظرات الاندهاش ووجوه المندهشين من الأشياء المألوفــة لــديها.. فالحواجـــب المرفوعة والأفواه المفتوحة وحركات الأيدي غير المدروســـة.. ثوابت أساسية في حياتها اليومية.. مثلها مثل قهوة الـــصباح.. وجريدتها المفضلة.. فكلها أشياء تعودت عليها حتى أصـــبحت كل تفصيلة منها جزءًا أساسيًّا من يومها.. تعجبوا لآرائهـــا.. فازدادت تمسكًا بها.. استنكروا اهتماماتها.. فلم تهتم.. فهكذا خلقت.. وهكذا هي...

حاولوا "تصليحها".. ففشلوا.. فهي لم تكن يومًا مكسورة حتى يحاولوا ترميمها.. استفزت الكثيرين.. وأثـــارت فـــضول البعض.. ولكن أحدًا لم يـــستطع أن يـــدخل إلى أعماقهـــا.. فكانت خصوصيتها مقدسة.. وحريتها سورًا دائمًا بينها وبين المتطفلين.. فلم تفعل سوى ما تؤمن به.. ولم تقل ســـوى مـــا تعنيه.. فلسفتها أن الحياة قصيرة.. لا وقت فيها للنـــدم علـــى نفاق مضى أو وهم قادم..كثيرون هم من نصحوها بأنها بنـــت

في مجتمع شرقي..مجتمع يعرف من القيود والمحظورات أكثر مما يعرف من المسموحات..مجتمع لا يعترف بالحرية سوى لجنس واحد..مجتمع لم يقرأ إعلان حقوق الإنسان الذي كفل الحرية لكل كائن حي يُدعى إنسان..ولكنها لم تهتم.. فحدودها هي التي تضعها وليس مجتمع معقد مريض وضع القهر مرادفا للأنوثة.. لم تكن يومًا تطمح في الاختلاف..كل ما طمحت إليه حياة عادية تعيشها كما تريد..وترسم تفاصيلها كما تتمنى.. كانت ترى في صوت فيروز أكسير الحياة..وفي برد الشتاء غذاء للروح..وفي المطر نقاء غريبًا يعوضها عن نقاء آخر كان مكانه في القلوب..وفي لون البحر عمقًا طالما بحثت عنه في عيون الكثيرين.. وحبيبًا في زمن لا يعرف الحب.

شعارها في الحياة أن الطموح لا سقف له..وأن الإيمان أساس الوجود..وأن راحة البال لا تأتي إلا بالبساطة والعفوية.

كانت معتدَّة بأفكارها.. مستنكرة لضعف الكثيرين أمام مطبات الحياة.. فما مرت عليها عاصفة إلا وتركتها أقوى مما كانت.. وما عرفت مصاعب إلا وعبرت منها منتصرة..

أو هكذا كانت تعتقد...

لديها قائمة كبيرة من الاهتمامات..آخرها إرضاء مجتمع لا يعرف الرضاء..فأصبحت نصيحتها الدائمة لصديقتها المقربة هي أن تفعل ما تريد لا ما يريدونه هم..و لم يُرضِ غرورها يومًا

رغبة صديقتها في حياة تشبه حياتها.. فهي تشفق عليها من حياة لو كان بيدها ما اختارتها.

ففي قمة شعورها بنصرها الشخصي..

فاجأتها الحياة بمطب آخر مستحيل التجاوز..فما اعتبرته بديهيًّا أصبحت حوله الكثير من الشكوك..لدرجة هزت ثقتها فيما اعتبرته يومًا من الأساسيات..فتسائلت..ماذا لو لم تعرف القيادة يومًا واكتفت بمقاعد الركاب؟ فما اصعب الخيار حياة كاملة في لحظة يتوقف فيها الزمن...

ليكشف عن تحول المقدسات إلى وهم كبير لا يراه سوى صاحبه..ماتت المحاربة داخلها.. فانضمت الى صفوف المستسلمين...

أمام الستار الأخير..

وقفت أنتظر



فكرت كثيرًا في كتابة وصيتي ولكني لم أجد لدي ما يستحق أن أورثه لغيري.. فأنا لا أملك غير ثياب كثيرة..

فطالما كان جمعها هواية عندي مثل كل البنات..وإذا كتبت عنها فأنا أتمنى أن ترثها أختاي الصغيرتان حتى تتذكراني كل يوم..

وسيارة كانت أغلى هدية حصلت عليها في حياتي..ليس لأنها الأغلى ثمنًا..ولكن لأنها هدية من أبي..وكلما رأيتها تذكرت كيف قدمها لي.. وكيف أخفى عني خبر شرائها حتى يفاجئني بها بمجرد إتمامي الثامنة عشرة.

وغرفة تعبر عني بكل ما بها من تفاصيل صغيرة..فصوري التي اخترتها بعناية تزين كل ركن منها..ففي أقصى اليمين صوري القديمة..وأقربهم إلى قلبي تلك التي أرتدي فيها ثوبًا أحمر..وفي عيني نظرة كبرياء غريبة على طفلة في السادسة..

وفي وسط الغرفة صور كثيرة تلخص حياتي القـــصيرة..وفي نهاية الغرفة صندوق يؤكد لمن يراه أنها غرفة طفلة في العاشرة لما يمتلئ به من ألعاب..

أما الصندوق الصغير الذي وضعته بعناية فوق سريري فَبِـــه كل ما كتبه أصدقائي لي منذ كنت في السابعة..

وكتبي من أكثر الأشياء القريبة إلى قلبي..فإذا حاول أحـــد قراءتها سيجد بها تواريخ قرائتي لها..وسيجد ســـطورًا تحـــت الكلمات التي أحببتها..لذا فأنا أريد أن أتركها لأمي..فعنـــدما تقرأها ستعرف الكثير عني مما لم تكن تعرفه.

وأهم ما فكرت فيه هو أنني لا أريد أن يقـــام لي عـــزاء.. لأسباب كثيرة..أهمها أنني لن أطيق أن أسمع أصوات تقول عني ما لا تشعر به..فالعزاء في نظري مظهر آخـــر مـــن المظـــاهر الفارغة.. لَيْتَهم يتصدقون بهذه الأموال ويعطونها لمن يستحق.. وما أكثرهم...

كثيرون تحدثوا عن الموت.. رأوا فيه أكبر مخـــاوفهم علـــى الإطلاق فمنهم من يخشاه لأنه لم يفعل في حياته مـــا يجعلـــه مستعدًّا لمواجهة نهايتها..ومنهم من يخافه لأنه متمسك بالـــدنيا لدرجة الجنون فمجرد فكرة فقدانها وفقدان الأشياء التي تعـــود عليها ترعبه..

أما أنا...

فأنا لم أعد اعرف طبيعة مشاعري نحوه.. فهل هو شــوق لمكان مختلف سمعت عنه كثيرًا فأردت رؤيته؟ أم تراني أكــابر لأني أعرف تمامًا أنني لم أستعد جيدًا لهذا اللقاء...

متضاربة هي مشاعري التي أكنها للموت.. فأحيانًا أشــعر بأني أحاسب نفسي لدرجة جلد الذات على كل ما يخرج من فمي وكل ما يدور في عقلي..سواء خرج إلى النور أم بقي في الظلام.. وأحيانًا أشعر بأني أخطأت كثيرًا لدرجة لن ينفع معها ندم.. وبأني أحتاج للكثير من الوقت حتى أصلح ما أفسدته أو أنقذ ما يمكن إنقاذه..

وأيًا كان شعوري الآن فليس هذا ما يشغلني.. فما يــشغل تفكيري هي الصورة التي سأكون عليها عندما أفــارق هــذه الحياة..

هل سأموت في فراشي وأنا في السبعين من عمري..وقــد فاض رأسي بالشعر الأبيض بحيث لم يعد ممكنًا معرفــة لونــه الأصلي؟ أم سأموت في سن الشباب؟

فكثيرون هم من يموتون في هذه السن..خصوصًا في أيامنــا هذه..أم أموت في حادث مفاجئ بالرغم من تحــذيرات أمــي

المتكررة.. وغضبها الدائم مني بسبب طريقة قيادتي التي تـشبه قيادة "سواقين الميكروباص" – على حد قولها؟

أم تراني ساموت بعد مرض طويل ينهكني وينهك ما تبقـى في جسدي من رغبة في البقاء فأستسلم بعد أن أخـسر آخـر معاركي معه.. أو أستسلم دون مقاومة...

فهذه هي الحرب الوحيدة التي لا أقوى عليها..

وإن كان مرضًا.. فأين سيصيبني؟ هل في قلبي الذي شـاخ منذ كنت طفلة؟أم في عقلي الذي لم يتوقـف عـن الـتفكير لحظة..لدرجة أنني تمنيت لو أستطيع أن أعطيه إجازة عارضـة حتى لو كانت لساعات قليلة؟

لا أعرف لماذا تذكرت كرامتي فجأة.. فما دخل الكرامة في حديث عن الموت؟ وهل للميت كرامة من الأساس؟

فكرامتي هي مرضي المزمن الذي أصـابني منـذ الطفولـة ولازمني لدرجة منعتني من التنفس..فأنا أخاف عليها كخـوفي على طفلي الذي لم يولد بعد..فحتى في حواري مع نفسي عن الموت أراها وقد ظهرت أمامي..كأنها تأبى أن أنساها لدقائق.. أو حتى أن أحاول..فأنا تمنيت كثيرًا من الله أن أموت صغيرة.. فلن أحتمل أن أكون سببًا لتعاسة من حولي..ولن أقوى علـى

نظرات الشفقة في عيونهم..حتى لو كانت شفقة مغلفة بالحب.. أو بحزن على فراق آت لا مفر..ولم أتعود أن أعطي يدي لأحد ليقودها ويقودني.. فأنا أقودني منذ ولدت..ولن أقوى على إعطاء دفة حياتي لغيري.. فهذا وحده كفيل بقتلي...

كثيرًا ما تصورت سيناريوهات مرضي.. وكلها لها نفس النهاية...

فأنا أعرف بحقيقة مرضي.. فأحتفظ بها لنفسي.. فأموت بعد فترة ليست بالقصيرة ولا بالطويلة.. فيفاجأ الجميع..ولا يعرفون أي مفاجأة أصعب.. وفاتي أم حقيقة مرضي السري..

وتذكرت أغنية أحبها كثيرًا لدرجة أني أعتبرها كتبت لي.. وتمنيت من الله أن أموت مثل بطلة الأغنية..

فهي تريد الموت على المسرح..أمام الناس.. وهي تفعل ما تحب..

أنا أيضًا مثلها..حينما يأتي وقتي أريد أن يسقط الستار من خلفي وليس من أمامي..فطالما سقط خلفس فلن أهتم بما مضى.. فهو لم يعد ملكي..ولن أهتم بما سيقولون..فلن أتذكر سوى أسماء..

أسماء سيهلك الحزن قلبها..وأسماء ستكون نهايتي ميلادًا جديدًا لها.. أسماء ستتأثر خوفًا من اقتراب نهايتها..

وأسماء ستذكرني بالخير..أسماء ستشكر الله على استجابة دعوالها.. وأسماء ستتوجه لله بالدعاء لي..

ولكنها في النهاية مجرد أسماء..وإن كنت أعرف أن الحياة ستستمر بي أو بدوني..ومهما طالت مدة الحزن على فراقي أو الفرح للخلاص مني..فهي في النهاية فترة مؤقتة.. والزمن كفيل بأن يُنسي أكثرهم حبًّا لي..

النسيان!

كلمة بها الكثير من القسوة والجفاء..فبرغم معرفتي بأنه من سنن الحياة الثابتة..لا يزال جزء مني يتمنى أن أظل بطلة مسرحية الكثيرين ممن يهمني أمرهم.

أنانية أنا؟.. ربما ولكني أعتبرها أنانية مشروعة.. فأنا لا أريد أن أتحول إلى قطعة ديكور لدى من أعتبرهم أبطالًا لمسرحيتي..

اللهم أحسن خاتمتي يا رب العالمين...

في أغنية شيرين الأخيرة:

"هتعمل إيه لو نمت يوم وصحيت ولقيت..

أقرب ما ليك في الدنيا مش حواليك"...

مش عايزة أعرف هعمل إيه.. ربنا يجعل يومي قبل يومها..

و دائمًا.. تشرق الشمس

تخيلت أنني أعرفها جيدًا..وأني لا يمكن أن أغفـــل عنـــها..
فكيف لا أعرفها وهي لازمتني منذ أن ولدت؟وكيف أغفـــل
عنها وهي.. حياتي..

اقتربت مني حتى أصبحت ملامسة لجسدي..كانت مختلفة..
فالاختلاف هو أقرب وصف لها...

أردت تحديد لون لها.. فلم أجد غير الأسود..فلطالما أحببت
هذا اللون واعتبرته ملك الألوان.

ووجدت مائة سبب وسبب لإضفاء هذا اللون عليها...

فأنا تشاجرت مع هذا.. وتأذّيت من هذا..وجرحت هـــذه
شعوري.. واغتابني هؤلاء.. وخانني هذا..

وتخلت هي أيضًا عني..وأردت فعل هذا وفشلت.. وحلمت
بهذه ولم أستطع الوصول إليها...

فكيف لا يكون الأسود لونها..وهي لم تترك مجالًا لأي لون آخر؟

فجأة وجدتني أتساءل عن مكاني فكيف أراها بهذا الوضوح لأول مرة؟

فهي تلازمني منذ عشرين عامًا وهذه هي أول مرة أراها بهذا القرب..

هل مت وهذه هي روحي التي تهذي؟هل أحلم؟هل هـذا كابوس؟

تساؤلات كثيرة شغلتني عنها..حتى وجدتها تبتعد عني مـرة أخرى ناديتها: "انتظرى".. ولكنها لم تسمع..ابتعدت..وكلما زادت المسافة بيننا..كلما رأيت فيها تفاصـيل لم أرهـا مـن قبل...

حتى ابتعدت تمامًا..فوجدتها على غير هيئتها الأولى..فهـي ليست سوداء.. على العكس تمامًا.. فإنها تحمل من الألوان مـا يكفي لتشتيت أصفى الناس ذهنًا.

فيها الكثير من الأزرق.. نعم.. فقد مرت علـيَّ لحظـات صفاء وراحة بال كثيرة.. لو أعطيتها لونًـا حتمًـا سـيكون الأزرق..

وفيها الكثير من الأحمر أيضًا.. فأنا عرفت الكثير من قصص الحب..أبطالها أشخاص تركوا فيّ آثار لن تمحى من ذاكرتي أبدًا..

ووجدت فيها بعض الأخضر..فأنا حققت كثير من أحلامي.. وما زلت أحلم بالأكثر..فلو لونت أحلامي سيكون الأخضر لونها بالتأكيد..

وأخيرا وجدت فيها لونًا لم يكن ظاهرًا لي..فهو اللون الأساسي الذي خلقت به..ولكني انشغلت عنه ببقية الألوان فلم أتمكن من رؤيته..وهو الأبيض..وعرفت فورًا سبب وجوده..فهو موجود لأنك أساس حياتي وسر وجودي.. خلقتني وأحسنت خلقي وصورتي..منحتني ما لا أقوى على حمدك عليه..فلا يكفيني عمر فوق عمري لأحمدك على نعمة واحدة منها.

طلبتُ فأعطيتَ.. طلبتُ أكثر.. فلم تبخل علي..كنت دائمًا موجودًا..ولكني غفلت عنك..وانشغلت بتفاهات الأشياء وحماقات البشر...

فما أغباني!

فهكذا أرى الأشياء..دائمًا أراها من قرب..فأي شيء تراه من قرب يجب أن يكون أسود.

وأي اختلاف تحدثه بعض الخطوات إلى الخلف!

فقليل من المساحة يسمح برؤية الأشياء علـى حقيقتـها.. ولكني سلكت الطريق الأسهل.. فرأيتها سوداء لأنني أردت أن أراها سوداء.. ووجدت ألف سبب لتبرير سوادها.. مع أني لو أردت لوجدت مليون سبب يضفي عليها ألوان السماء كلها.. ويكفي وجودك في حياتي لتكون بيضاء.. بيضاء كحياة طفـل لم يخطُ بعد أولى خطواته في الحياة.

•

ولكن هذا طبعي وطبع البشر...

إذا سئلنا عن أسباب تعاستنا لا نحتاج لأكثر مـن دقيقـة تفكير.. أما إذا سئلنا عن شيء واحد يسعدنا نفكر لساعات.. فكأن إحساس الحزن يطربنا..وكأن صورة الـضحية هـدف تهافت البشر ليصبحوا عليه..حتى ضاعت ملامحهم في الطريق.. فارتدوا جميعًا ملابس الحداد على حياة لم يعطوها فرصة إظهار ما بها من ألوان..بالرغم من أننا نملك من نعمك ما لا تقـوى على حمله الجبال.

فاغفر لي غفلتي وارحمني.. فمن يرحمني إن لم يكن أنـت؟ وبرحمتك.. برحمتك وحدها.. تشرق الشمس.. فتجعلها بيضاء كما عرفتها.. فارحمني يا الله حتى تشرق من جديد.

في عالمي



في عالمي..

الكثير من التناقض..فأنا المتفائلة معظم الوقت..اليائسة في أحيان كثيرة..

في عالمي..

الخصوصية مقدسة..يروها غرورًا..وأراها حدودًا..بدونها تصبح حياتي فيلمًا مشاهدته مسموحة ونقده مباحًا للجميع.

في عالمي..

الكثير من الأحلام.. أحيانًا أشعر بأنها ستتحقق..وكثيرًا ما أشعر بأنها أقرب للخيال.

في عالمي..

الكثير من الحرية.. فهي مني وأنا منها.. لا أتخيل حياتي دونها..

في عالمي..

أبحث عن الاختلاف..فأكبر كوابيسي أن أعيش مثلي مثل غيري..ممن عاشوا ليأكلوا وماتوا دون أن يحققوا شيئًا يذكر.. ولا زال حلم الطفولة يراودني..ذلك الحلم الذي أرى فيه كل من علمني ولو حرفًا يفخر بأني كنت يومًا تلميذة له..دون أن يشعر بأن وقته ضاع على من لا يستحق..

في عالمي..

أحيا على نغمات فيروز..فهي تسحرني وتشعرني أن الكون ملكي وحدي..

في عالمي..

أهتم بالموسيقى.. العربية بشكل خاص..أستمتع بحفلات الأوبرا..وبرؤية الموهوبين الحقيقيين الذين لم يعد لهم مكان في عالم بلا موهبة..وأخاف أن أصبح يومًا مثلهم..أعرف طريقي.. وطريقي لا يعترف بي.

في عالمي..

عشق خاص للسينما..ولكل فن راقٍ.. تسحرني أفلام جوليا روبرتس.. وأعشق أنوثة سعاد حسني.

في عالمي..

الصدق مفتاح قلبي الوحيد.. والنفاق حاجز دائم بيني وبين صاحبه.

في عالمي..

أفشل في التعبير بالكلمات..ولكني أحب هذا الفشل..فأولًا وأخيرًا الأفعال هي الترمومتر الحقيقي والمقياس الوحيد.

في عالمي..

رجل واحد..أتفق معه أحيانًا.. وأختلف معه كثيرًا.. ولكنه يظل سندي الوحيد بعد الله.

في عالمي..

طفلة أعيش معها طفولتي..وأمارس معها أمومتي.. فهي ابنتي التي لم أنجبها.

في عالمي..

شخص واحد أعتبره أغلى من الدنيا ومن فيها..أنصح الجميع بألا يوقفوا حياتهم عند شخص واحد..ولكني أعترف بأني لن أعرف لحياتي طعمًا بعدها.

في عالمي..

مكان كبير لأصدقاء قليلين..لا أتخيل حياتي دون أحدهم.

في عالمي..

الوحدة صديقتي الأثيرة..والتفكير ظلي الـــذي لا يتـــركني مهما حاولت الابتعاد عنه.

في عالمي..

لا أكون أنا إلا أمام البحر..ولا أعرف الرومانـــسية إلا في فصل الشتاء..ولا أشعر بقيمتي إلا وأنا أرى أحلامـــي وقـــد تحولت إلى واقع.

في عالمي..

الكثير من القوة.. والكثير من الضعف أيضًا.

في عالمي..

أكره الروتين والقوالب الجامدة.

في عالمي..

أبحث عن التمرد.. وأفتش عن الجنون.

في عالمي..

لا مكان للسطحية ولا مكان للفلسفة..فالمتفلسفون مملـــون والتافهون أكثر مللاً .

في عالمي..

ثقتي غالية.. قليلون هم من أسمح لهم بامتلاكها.

.If you want it .. you have to earn it

هكذا خلقت.. وهكذا أنا.

في عالمي..

أبحث دائمًا عن ذاتي.. أحيانًا أجدها.. وكثيرًا ما تتوه مـــني في زحام الحياة.

في عالمي..

أعيش كأنني لن أموت أبدًا.. وأفكر في الموت كأنني أعيش آخر لحظات عمري.

في عالمي..

أريد كل شيء.. ولا أريد شيئًا.

أن تكون مرفوعًا مؤقتًا من الخدمة

كثيرًا ما تفاخرت بتلك المثاليات الزائفة..فهـــي مثاليـــات لبعدها التام عن الواقع..وهي زائفة لبعدي أنا الكامل عنـــه.. فماذا أعرف أنا عن الدنيا حتى أحكم وأدين وأنصح وأوجه؟

اكتشفت أني كنت أراها من بعيد بعيون طفـــل ســـاذج.. طفل لم يعرف من الدنيا ما هو أبعد مـــن جـــدران حجرتـــه الصغيرة..ولم يقابل من الناس من هم أبعد من أبوين هما الحنان كله..وما اعتقدته اختيارًا حرًّا جاء بإرادتي الكاملـــة كـــان في حقيقته خوفًا عميقًا من عالم سمعت عنه كثيرًا لدرجـــة أنـــني فضلت الصمم على أن أعرفه من قرب..فرسمتـــه كمـــا أردت وليس كما هو..واعتبرت ما رسمته واقعًا ورأيته كما أحببـــت وليس كما يجب أن يكون..واعتبرت ما رأيته حقيقة..

أجبرت نفسي على العزلة.. خوفًا لا شجاعة.. هروبًـــا لا مواجهة.. إجبارًا لا اختيارًا.

ففي قمة اعتزازي بذاتي..وبما وصلت له من قدرة على قراءة الواقع..كان أقرب ما يكون لوهم صنعته أنا..صـــدقته أنـــا.. وعشته أنا...

فحتى أعيد ترتيب أوراقي.. وحتى أخرج من برجي العاجي.. لأنظر بعيون من هم في قلب الحدث..لأراه كما يرونه هم وليس كما أحب أن أراه..لأشعر بقلبي بما يشعرون به..دون أن أدعي أنني أفهم وأقدر..وأنا في الواقع أسمع دون أن أنصت..حتى أتوقف عن إعطاء النصائح المثالية ماركة "حافظ مش فاهم"..حتى أتوقف عن اتهام غيري بما أمارسه أنا..حتى أعرف من أنا..

تلك المتمردة المثالية.. المتمسكة بمبادئها..الخبيرة في أمور الحياة..

أم تلك المدعية الزائفة..المتفلسفة..التي تنصح وهي أشد الناس احتياجًا للنصيحة..

حتى أتعلم أكثر عن الدنيا ومن فيها..

فأنا مرفوعة مؤقتًا من الخدمة..

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع..

وقلب لا يخشع..

ونفس لا تشبع..

ودعوة لا يستجاب لها..

ومن أن أقول بلساني ما ليس في قلبي...

دنيا الناضجين ترحب بكم



انتهت مرحلة الطفولـــة..وانتقلـــت مرغمًـــا لـــصفوف الناضجين...

هل قالوا لك إنك تترك مع طفولتك كل "الأواخر"؟

آخر ابتسامة حقيقية.. وآخر سعادة من القلب.

آخر فرحة حقيقية.. وآخر لحظة أمان.

آخر مشاعر نقية.. وآخر إحساس صادق.

خدعوك فقالوا إنك بتركك طفولتك تصبح بـــني آدم لـــه حرية وصوت وقرار..فمن قال أصلًا إنك تريد الحرية وتفتقـــد الصوت وتبحث عن القرار؟فبتركك الطفولة تترك معها آخـــر بقايا آدمية..لتندمج مع من تنكّروا لفصيلتهم ليتعايشوا مع واقع أكثر قسوة من أسوأ كوابيسك.

فمرحبًا بك في عالم النضج!

في دنيا الناضجين لا مكان لحصان أبيض أو لعروس شقراء.

في دنيا الناضجين يسقط الحصان بعد أول سباق..وتتـــرك العروس عالم الأحلام لتصطدم بواقع يجبرها علي اللجوء لوضع الجنين قبل أن تفقد ما تبقي لديها من إدراك..ففي عالم النضج لن تجد العروس سوى ابتسامات لزجة وألسنة زائفة تقضي على ما تبقّى لديها من براءة طفولة كانت..ولن يجد الحصان سوى عالم خلق فقط ليحطم أحلامه.

في عالم الناضجين..النتيجة أكثر تعقيدًا من رقم تحصل عليه في آخر السنة.. فمن الممكن ان تحصل على ١٠٠%..فتجـــد من حصل على الـــ٥٠% يسابقك ويسبقك..فقط لأنه في دنيا الناضجين.. لا مكان لضعيف طَموح..فالأماكن كلها محجوزة للقوي الـــ"مسنود"..فهنا لا نضمن لك السعادة.

إذا "رحت المدرسة وطلعت الأول وغسلت سنانك وعملت الواجب"..في دنيا الناضجين لا يوجد آخر لواجباتك..والـــتي بالمناسبة حتى وإن أديتها كلها.. لا ضمان لنجاحك.

فعندنا تعمل الواجب "تتْلَطَّش".. "تستَهْبِل تتْلَطَّش برضه".. فأرجوك لا تشفق على ذاتَك..واحبس هذه الدموع التي تحاول أن تشق طريقها إلى وجنتيك..فـــأن تـــشعر أنـــك كالفـــأر الـــ"مبلول".. الذي لا يترك البرد مكانًا في جسده الـــصغير إلا وغزاه.. هو شعور طبيعي جدًّا..ولا تبحث عن سيارة تقلـــك إلى مكان آخر..فعندما تصل إلى هذا القرار.. ستجد أن كـــل

السيارات تمشي في الاتجاه المعاكس..فهنا فقط الوحدة لا تقل بوجود الناس حولك..بل تزيد أضعافًا بوجودك وحيدًا بين آلاف غيرك.. وحيدين أيضًا.

في عالم الناضجين يكتشف الحصان أن الكذب أسهل كثيرًا.. وأنه إذا كان الكذاب "بيروح النار"..فالصادق لا يجد مكانًا لـ"يروحه".. وتكتشف العروس أن ما تعلمته من أن تقول ما في قلبها مباشرة سيؤدي بها إلى الوقوع في يد من يتغزلون بنقاء الأنثى نهارًا..فقط ليجدوا للأنثى "النقية" مكانًا بين وساداتهم ليلًا.. فيطبّقون ما قاله نزار عن أن "أهل بلدتنا الذين يمزقهم تناقضهم"..

"ففي ساعات يقظتهم يسبُّون الضفائر والتنانيرا.. وحين الليل يطويهم.. يضمُّون التصاويرا".

ففي عالم الناضجين..

لا مكان لتنفيذ نصيحة والدك بأن تكون أكبر من الحياة.. لأن الحياة هنا على هذه الأرض مثلها مثل الموت.. "ملهاش كبير".

في دنيا الناضجين..

لا يوجد بابا نويل ينتظرك بهدية توّ انتهيت من أكل ما تبقّى في طبقك..ففي هذا العالم الكريه "اللي بياكل على ضرسه بينفع نفسه"..ولا يوجد فارس ينتظر أن تنتهي من تمشيط

شعرك وغسل وجهك والتوجه لفراشك في موعدك..فالفرسان تركوا أحصنتهم منذ مـــدة.. تحديـــدًا عنـــدما اكتـــشفوا أن الفروسية.. "مش جايبة همها"!!

في دنيا الناضجين تنقلب المفاهيم..

فالطيبة سذاجة.. والشهامة موضة قديمة..والأنوثة عـــار.. والرجولة فياجرا.. والوطنية شعارات.. والكرامة تركت بـــلاد القرآن لتحصل على الجنسية التركية!!!

عنها و الفستان الأزرق



حدثتني صديقتي المقربة عن يوم تركها دون إبداء أسباب.. فهي أحيانًا "أكتر من اللي أستاهله"..وأحيانًا أخرى "مش عارفة تفهميني"..وصفت لي إحساسها..أو بمعنى أدق وصفت الـ"لا إحساسها"..عندما قرر أن يرتدي رداء فرسان العصور الوسطى..ليخبرها عبر "موبايله" الأبيض..أن قصتهما التي استمرت ٥ سنوات.. "خدت أكتر من وقتها"..

فاستمرت في وصف تفاصيل الأحاسيس المتلاحقة التي انتابتها.. من ضيق في النفس..إلى ألم في صدرها..وتنميل في يديها..ورعشة في أسفل أقدامها منعتها من نعمة الوقوف لتمثيل دور القوية حتى النهاية..فسقطت التي لم تتوقع أبدًا أن تأتي سقطتها الأولى من تلك القطعة الصغيرة التي تحتل هذا المكان الصغير من الناحية اليسرى من قفصها الصدري..تلك القطعة التي أوهموها أنها سبب السعادة الأبدية..وهذا ذنب لو يعلمون عظيم!

حدثتني عن الأقنعة التي ترتديها منذ تلك اللحظة..

فقناع القوية دائمًا معدومة المشاعر..التي يشك من حولها في أنها ولدت بعيب خلقي في قنواتها الدمعية منعها من البكاء "زي كل خلق الله اللي عندهم دم"..هو القناع الملائم للعمل وزملاء العمل.. الذين يدققون في كل تفصيلة بمناسبة وبدون مناسبة.. ويتخيلون أن كلمة "معلش" تفي بالغرض.. كأن هناك من "داس على رجلها ولّا خبطها وهو معدّي"!

وقناع المتماسكة المنطقية المتفلسفة التي تقر بانكسار قلبها ولكنها تتعهد بترميمه..هو القناع المناسب لارتدائه أمام زميلات العمل.. فالزميلات تحديدًا لهن معاملة خاصة لا يعرفها سوى من ينتمين لعالم النساء..فحاسة النساء السادسة تجعلهن دائمًا ما يعرفن ما لا يقال!

أما قناع الـ"هبلة" المبتسمة دائمًا.. المتكلمة لدرجة الدوشة.. والصاخبة لدرجة الصداع..هو القناع المناسب لصديقات الطفولة..فما ذنبهن في كل هذه اللخبطة حتى يسمعن ما لذ وطاب من حواديت القلب الموجوع؟!

وأخيرًا يبقى قناع الباردة معدومة الأحاسيس..فهذا ترتديه عندما تجيب متصنعة نبرة من انفرجت ملامحه بابتسامة مصطنعة لدرجة اللزوجة بأن.."كويسة الحمد لله..وأنت عامل إيه؟!"

على كل مكالمة مجاملة باردة مدتها ٣٧ ثانية هـــدفها الظـــاهر هو.. "أن نطّمّن عليكي".. وهدفها الحقيقي هو معرفة تفاصيل تصلح للحكي في "خروجة يوم الخميس"!

وعندما حدثتها عن مشقة ارتداء كل هذه الأقنعة على مدار اليوم الواحد.. أجابتني بأن.. عندما تـــصبح "كـــل حاجـــة بتوجع.. ما بيفضلش غير ماسكات نحافظ بيها على اللي باقي من كبريائنا"..

وقفت بين فساتينها تحدث نفسها..

فالأسود يجعلها تمر دون أن يلحظها أحد..والأحمر يجعلـــها ملحوظة بزيادة..الوردي يعطيها براءة من لم يعرف قلبه ألمًـــا.. حتمًا غير مناسب الآن.. إذن فإنه أزرق..

فهو يجمع بين رغبتها في أن تكون غير مرئية..واحتياجهـــا للقليل من الغموض..اختاري "معايا بقى الماسك اللي هلبسه لمّا أحضر فرحه.. بس حاولي تختاريه لايق على الفستان".

قالتها وأمطار نزار السوداء تتساقط من عينين كتمتا البكاء طويلًا حتى أصبح خروجه ضرورة صحية..فحدثتها مدعية أنني لم ألحظ دموعها بأن.."الأولاني كـــويس"..التجاهـــل دائمًـــا يضايق.. وتمتمت بأنني الآن شاهدة على لحظـــة نـــادرة مـــن

يومها.. فالآن فقط سقطت أقنعة تماسكها جميعًا.. لتبقى هـــي وفستانها الأزرق.. وقلبها المكسور.

ولكن شيء ما يبقى



خبَّرتني مدرسة التربية الدينية (إلّا هو فى تربية إلحادية ؟!!)..
بحديث لخاتم المرسلين يقول فيه:

"إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية.. أو علم ينتفع به.. أو ولد صالح يدعو له"...

فوجدتني أتساءل..هل فعلت ما يجعلني إحدى الثلاث؟

سألت يومًا من أصبحت الآن صديقتي المقربة:

لماذا تحبينني الآن وقد كنت أسخف خلق الله عندما تعارفنا؟! (وهذا لا يعني أنني الآن أقل سخافة لا سمح الله)..

فأجابت: "لأنك طبطبتِ عليَّا وأنا عيَّانة وقلتِ لي سلامتك"..

يا الله!! كيف تتذكر بعد كل هذا الوقت؟ وكيف يمكن لتصرف بهذه البساطة أن يؤثر فيها كل هذا التأثير؟

فقررت أن أعرف منهم ماذا ترك الراحلون لهم؟

عرفت منها أنها لا تتذكر من كل السنوات الــتي عاشــتها معه..سوى أيام الجمعة وتمشية ما بعد الصلاة في شوارع وسط البلد شبه الخالية فى مثل هذا الوقت من اليوم..

فرفضه لتزويجها ممن تحب..وعلقة نتيجة الــ٣ كحكــات الشهيرة.. ذكريات تكاد تتلاشى أمام فرحة الفتاة الصغيرة بيد أبيها التي تحتوي يدها..وطعم الآيس كــريم معـــه فى أواخــر نوفمبر..

كما تذكرت قوله بأن طعم البليلة التي كانت تصنعها أمه.. واضعة فيها كل مشاعرها الإيجابية..ومستثمرة لكل طاقــات الحب التي تتمتع بها الأمهات دونًا عن سائر البشر..لا يزال فى فمه بالرغم من السنوات العشر التي مرت على وفاتها...

وقول الآخر إنه لا يزال يبحث فى وجوه من حولــه عـــن ابتسامة تشبه ابتسامتها يوم منحته طفله الأول...

فساذج هو من يستهين بتمشية صغيرة.. أو طبق بليلة.. أو ابتسامة فى يوم من أيام العمر..

فمن الممكن أن تنسى اسم الرئيس الذي أمم قناة السويس.. لكن من المستحيل أن تنسى يدًا حانية امتدت لك فى يوم مـــن الأيام الممطرة..

حقًّا إنها الأشياء الصغيرة!

يقول سيد الخلق:

"تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمـــرك بـــالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة،وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الردئ البصر لك صـــدقة، وإماطتـــك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة".

فعرفت وقتها فقط النعمة الحقيقية..نعمة أن تترك شـــيئًا.. وحينما فكرت ماذا سأترك أنا..وتمنيت أنْ أكون من الـــذين رحلوا دون أن يرحلوا.. وتركوا دون أن يقصدوا.. وبدأوا ما أَلْهَمَ غيرهم فأكملوا..

فوجدتني لم أمسك بيد ابنتي..

ولم أبتسم لأحد..

ولا أعرف بعد كيف تصنع البليلة..

كل ما وجدته هو "شوية كتب"..

وكوب قهوة لا ينتهي..

والكثير والكثير من كلام لم يُقَل!

مكابرة

الوقت: ليل..

المكان: منزلها..

الجو: برد..

بين أكواب القهوة وملاعق السكر..وقفت مع صديقتها المقربة في مطبخ بيتها..أو "بيت الأمة" كما اعتادت الصديقات على تسميته..

كالعادة منعها زحام أفكارها من الاستماع لما تقوله صديقتها..وإن كان طوفان الأفكار قد سمح لها بسماع بعض الكلمات "من وقت للتاني"..حتى تستطيع متابعة "رأس الموضوع" الذي تتحدث عنه..

***

يقولون إن الدموع كثيرًا ما تكون صحية..فهي سموم تخرج شحنات الغضب والحزن والانفعال والمشاعر السلبية كلـها في لحظات..

بديهي.. فالبكاء كثيرًا ما يريح صاحبه.. فكتمان الـدموع قاتل أكثر من البكاء نفسه..فكثيرًا ما كانت جدتي تقول إنه إذا ما فاجأتك دموعك فدعيها تسقط.. فلا حرج في أن يكـون الإنسان إنسانًا!

يقولون أيضًا إنه من طبيعة الإنسان أن يستمد قوتـه ممـن حوله..منطقي..فالإنسان كائن اجتماعي بطبعـه.. وهـو لا يستطيع الحياة دون أن يعتمد على الآخرين.

- "هو إنتي مش هتقولي أنا عارفة.. بس ممكن لو احتاجتي حاجة تقولي لي؟

- أكيد طبعًا...

***

يقولون إن اعتراف الإنسان بحاجته للمساعدة لا علاقة لـه بالكبرياء.. فالطبيعة البشرية تقول إنه لا يوجد من يُدعى كائنًا خارقًا.. وكلنا في لحظات الضعف سواء"..

مؤكد..لكن منطقي يقول إنه هناك نوعان من البشر.. نوع يُساعِد ونوع يُساعَد.. والنوع الذي يُساعَد ..إما ضحية.. إما يجيد دور الضحية..

والحقيقة أني لم أتعود أن أكون من النوع الثاني..أيًا كـــان تصنيفه!

***

يقولون إن الـ"فضفضة" مع الذين تــثقين بهـــم مريحـــة.. ويقولون إن الكلام "مفيش أسهل منه"!

***

اعتدلت في وقفتها كمن يهم بإذاعة خبر خطير..فابتسمت صديقتها ابتسامة مشجعة..علّها تفصح أخيرًا عما يــضايقها.. فاقتربت هي الأخرى منها كمن يرغب في قليل من الطبطبة.. مما أعطى الصديقة الوفية المزيد من الأمل..ونظرت كاتمة دموعًا تراكمت منذ فترة ليست بالقليلة..وضـــمت شـــفتيها معلنــة انفجارًا وشيكًا..وتمتمت في هدوء :"قلتِ لي بتشربيها ســـادة ولا مظبوط؟" .

"فتافيت" قلبها

تنظر في عبثية إلى المرآة..تفكر في الـ"بنوتة" التي كانت عليها..تترك شعرها ليرى النور لأول مرة منذ سنوات.. فتنسدل خصلاته البنية فوق وجه طالما وُصِف بالجمود.. تمسك بأحمر الشفاة..وتعاني من بعض الصعوبة في وضعه فوق شفتيها الصغيرتين.. تحاول تذكُر آخر مرة قرَّبته من فمها.. فتفشل.

ترتدي فستانها الأسود القصير..ترفع شعيرات قليلة مستخدمة فى ذلك مشطها الصغير الذي يأخذ شكل فراشة ذهبية..لا تنسى استخدام الكحل الأسود الفاحم.. والقليل من هذا العطر الفرنسي الذي يحبه..

تفكر في أنها تغيرت كثيرًا منذ أن دخل إلى حياتها..فهي أبدًا لم تكن تهتم بمظهرها..حتى إنهم أطلقوا عليها لقب الرجل الآلي..

حتى جاء هو وأخبرها كم أن لمعة عينيها ساحرة..حتى وإن كانت تختبئ تحت نظارة "كعب كباية"..

ماذا لو لم يكن يستحق؟ ماذا لو كان يكذب عليها؟!!

يحدثها عقلها بأن الرجال جميعهم كاذبون..فيخبرها قلبــها بأن هاتين العينين يستحيل أن تكونا قد عرفتا الكذب.. يجيبها عقلها بأن "استسلمتِ بسهولة"..فيرد قلبها بــأن "مــا أمتــع استسلام المقاتلة داخلك في سبيل خروج الأنثى"..

تسمع صوت سيارته.. تخلع نظارتها.. ترتدي حــذاءها ذا الكعب العالي..تحرك شعرها معلنة عن سقوط آخر ميكانيزمات الدفاع الخاصة بها..لتنفض عن رأسها صورة الرجل الذي كان يقطن بداخلها لما يقارب الثلاثين عامًا..تنظر مــرة أخــيرة في المرآة لتتأكد من أنها تبدو تمامًا كما تريد..ثم تلقــي بقبلــة في الهواء مودعة رجلها الآلي.. وتنزل في عجالة لمقابلــة رجلــها الحقيقي.. وأنوثتها الضائعة أيضًا!

استرسال



تنتابني أحيانًا حالة من الفراغ.. الخواء ..اللا "أي شيء"..

حسنًا لنطلق عليها لفظًا علميًّا..حالة من الإفلاس الفكري.. بالرغم من هذا الـ"فلس" الواضح..إلا أنني وجدتني متلبِّسة بالتفكير في الكيبورد وكوب القهوة وصوت فيروز.."قال يعني نجيب محفوظ في لحظة إلهام!

قررت أن أترك الحروف تكتب دون تدخل مني..وأعتذر مسبقًا عن أي تخريف غير مفهوم لمن يقرأ "دلوقتي".. الفترة السابقة كانت.. مختلفة.. سأسميها حالة إعادة اكتشاف..إعادة اكتشاف للناس.. للعالم.. ومن قبلهم إعادة اكتشاف لنفسي..

كم غير طبيعي من اللامبالاة حولي.."إلا هو ليه محدّش بقى بيهمه حاجة؟ ها؟!"

كثيرًا ما اقمت بأنني والتوتر توأم ملتصق.. الحقيقة أني فقدت القدرة على التمييز.. هل توتري هو السبب في تركيزي

في برود الآخرين..أم أن برود الآخرين هو السبب في توتري؟!!

نعود لنفسي..فغروري يجعلني أريد أن أتكلم عنها هنا.. والآن.. اكتشفت أنني أكره الأزرق..

أكرهه بكل درجاته وأشكاله..فهو لون غير مفهوم.. فلا هو في وضوح الأخضر..ولا هو في صفاء الأصفر..فكيف عندما يجتمع لونان بهذا الجمال يكون الناتج لونًا بهذه السخافة؟!

واكتشفت أنني أمقت الرجل الوسيم.. فهو في رأيي مرتبط بمحدودية التفكير والتفاهة والغرور والسطحية لدرجة السخافة..

كما أكره أن يحدثني أحدهم عما لا أريد أن أسمعه.. فدائمًا ما أعتقد أن لكل شخص حاسة سادسة تخبره بأنه.. "حان وقت الصمت.. فمن تحدثه لا يسمع "any more"!

ولا أحب هؤلاء الذين لا يستمعون حينما يجب أن يستمعوا.. أو يستمعوا حينما يجب أن يتكلموا.. أو يتكلموا حينما يجب أن يصمتوا..

وأتعجب من هؤلاء الذين يتحدثون عن أنفسهم بـــصوت مسموع لمدة تزيد عن خمس دقائق متواصلة.. وأشعر بـــالعجز عندما يطلب مني أحدهم أن أتحدث عن نفسي.. فلا أجد أكثر من كلمات قليلة.. مقتضبة.. مختصرة.. لا أعرف إذا كانـــت تصفني.. أم تصف من كنت أحب أن أكون عليها..

عرفت أيضًا أنني لا أحب أن يشاركني أحد برأيه في اختيار ما أرتدي.. فـــ"إلبس اللي يعجب الناس".. ليس أكثر من مثل آخر من الأمثلة الـــ"عبيطة".. التي لو عرفتُ من أَلَّفها لكان لي تصرفٌ آخر معه..

وعرفت أن حاستي السادسة تكمن في اكتشاف من يكذب عليَّ.. وأن ادعائي التصديق لا يعني أنني لا أعرف أن ما يقال مجرد كذبة كبيرة..

كما عرفت أن المتألم لا تهمه الـــشفقة بقـــدر مـــا يهمـــه التعاطف..

وتأكدت من أنني لا أحب الهدايا كثيرًا.. ففكرة أنني مطالبة برد مجاملة.. بغض النظر عن شعوري نحو صاحبها قاتلة بالقدر الكافي بالنسبة لي.

اكتشفت أيضًا أنني لا أحب أن أكون "فُرجـــة".. بقـــدر كرهي لأن أكون غير محوظة!

وعرفت أن كل ابن آدم - على اختلاف ثقافاته وخلفيتـــه وقدراته العقلية - تجمعه بإخوته الـــ"بني آدمين" تلك الرغبـــة المستمية في أن يكون مميزًا.. حتى وإن لم يكن كذلك..

ففرحة من رن موبايله مرتين متتاليتين في جمع من الناس..

ومن تعتذر عن "خروجة" لأن عندها "شغل كتير"..

وشكوى من يتعلل بضيق الوقت ليظهر مدى كونه مطلوبًا من الجميع.. أصدقاء الطفولة.. زملاء العمل.. جيران الهنـــا.. أقارب من الدرجة الـــ"اتناشر"...

ليسوا أكثر من رغبة فى إظهار مدى كون الشخص "مميزًا" وله مكان..

وأندهش أيضًا من بعض المسميات.. فهذا مفكر إسلامي.. وهذا مثقف ليبرالي.. "هوَّ من إمتى التفكير وقراية الكتب بقـــو وظيفة"؟!

تخبرني بأن "إنتي كان لازم تطلعي مدرِّسة".. فأجيب كاذبة بأن "لا.. هنا الواحد عنده برستيج أكتر".. وأقول دون صوت أن "يا ريت"..

فطالما كان إلهام الآخرين مبهرًا عندي.. ففكـــرة أن ألهـــم صغيراتي ليجعلوا اليوم أجمل.. دون أن أعدهم كذبًا بأن الغـــد دائمًا وردي.. كانت ترسم على شفتاي ابتـــسامة في الأيـــام الممطرة.. أمومة متأخرة؟.. ممكن... فربما يأتي اليـــوم الـــذي أعيش فيه هذه الحياة المزدوجة.. مدرِّسة صباحًا وطالبة مساء.. "مين يعرف"؟!

واكتشفت أيضًا أن حزب الوسط لم يتم رفضه فقط مـــن الحياة السياسية.. لكنه امحى تمامًا من الوجود.. ببساطة.. لأن كل كلمة تجمع حروف "و" "س" "ط".. لن تجد لها مكانًا في عالم أصبح التطرف فيه هو "أَرْوَش" طريقة لراغبي الظهور.

فأفاجأ بمدوَّنة منتقبة تقرر استكمال دعوتها التنويرية بـــشتم كل من سوَّلت لها نفسها بعدم ارتداء الحجاب.. ومدوَّنة غـــير محجبة تقرر استمرار رسالتها الـــ"مهلبية" بشتم كل ما يمـــت للحجاب بصلة.. "إلا هي الناس الطبيعية راحت فين"؟!

وأخيرًا أحاول تأمل الناس من حولي.. وأجد معـــنى جملـــة يوسف زيدان الرائعة.. "إنها مغامرة كبيرة أن نَأْمَن.. مثلما هي مغامرة كبرى أن نؤمن"..

فأؤكد عليهن للمرة الألف بعد المليون.. إن من يملك قيراط ثقة.. فليعطِ عُشْرَهُ للناس.. وليحافظ على تسعة أعشار نفسه..

فهنا .. وفي هذا الزمن الجميل .. نادرون هم من يستحقون ...

الفهـــــــرس

المقدمة	٥
عزف منفرد !	٧
إلى ابنتي.. حتى نلتقي	٢١
ويقول إني امرأة	٢٧
يوميات جميلة	٣٥
إدراكات	٤١
نصف يوم	٤٩
جزء مني لا يزال يهتم	٥٥
حتى الملائكة.. تغضب أحيانًا!	٦٣

إدراكات (٢) ٦٩

بنت وولد ٧٧

عندما قالت شكرًا ٨٣

وجهي الآخر ٨٩

الجاحدة والأناني ٩٧

مشاهد.. نقطة رجوعٍ ١٠٣

أمام الستار الأخير..

وقفت أنتظر ١٠٩

و دائمًا.. تشرق الشمس ١١٧

في عالمي ١٢٣

أن تكون مرفوعًا مؤقتًا من الخدمة	١٣١
دنيا الناضجين ترحب بكم	١٣٥
عنها و الفستان الأزرق	١٤١
ولكن شيء ما يبقى	١٤٧
مكابرة	١٥٣
"فتافيت" قلبها	١٥٩
استرسال	١٦٣